الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

المعهد: الآداب و اللغات

القسم: اللغة و الأدب العربي

المرجع:.....

شعر الحرمان في العصر العباسي

أبو الشمقمق أنموذجا.

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة :

أدب عربي.

التخصص.

أدب قديم.

إعداد الطالب(ة):

أسماء بوالشعير.

إشراف الأستاذ:

الدكتور مودع سليمان.

السنة الجامعية : 2013/2012

بسم الله الرحمن الرحيم

خطـــــة البـــحث

مقدمـــة.

مدخـــل.

I-الفصـــــــــــل الأول.

1 - ماهية الحرمان.

1 1 - الماهية اللغوية.

1 2 - الماهية الاصطلاحية.

1 3 - الحرمان عند علماء النفس.

1 4 - الحرمان عند علماء الاجتماع.

2- **نظرة الإسلام إلى الحرمان و الفقر.**

3- **أسباب الحرمان في العصر العباسي.**

3-1- التضييق الاقتصادي.

3-2- كثرة الفتن و الاضطرابات.

4- **ترجمة لحياة أبي الشمقمق.**

II- الفصـــــــــــل الثـــاني.

تجليات الحرمان في شعر أبي الشمقمق.

1- الألم النفسي.

1 1 - معاتبة الدهر.

1 2 - اليأس و بكاء سوء البخت.

1 3 - الشكوى و تصوير الحرمان و سوء الحال.

1-3-1- حرمانه من الملجئ.

1-3-2- حرمان أولاده من الأكل.

1-3-3- خلو بيته من المتاع و الطعام.

1-3-4- الشكوى من البرد.

1-3-5- افتقاره للمركوب.

2 - الاستغاثة و الاستعطاف.

3 - هجاء المتخمين و البخلاء و الثورة عليهم.

4 - الأماني و أحلام اليقظة.

5 - الحمد و الرضى.

III– الفصـــــل الثـــــالث.

الدراسة الفنية.

1- البناء العام.

2 - المعجم الشعري.

2 1 - التكرار.

2 2 - التركيب اللغوي.

3 - الصورة الشعرية.

3 1 - الخيال.

3-1-1- التشبيه .

3-1-2- الاستعارة .

3-1-3- الكناية .

3-1-4- التمثيل .

4 - التناص.

5 - السخرية.

6 - الحكمة .

خاتمة.

مقـــدمة

مقدمـــــة:

لقد اعتاد الباحثون والدارسون وهم يعرضون للحياة الاجتماعية في العصر العباسي الوقوف عند مظاهر التطور التي أصابتها، وما شاع معها من ظواهر كالتهالك على الملذات والملاهي، وهي مظاهر أعطوها حقها ووفروا لها حظها من البحث . وقد أدى التركيز على هذا الجانب من الحياة الاجتماعية إلى إهمال حياة الشعب وما كان يعيش فيه من الفقر والبؤس والحرمان، ولعلّ الشاهد الذي وقع بين يدي والذي هو مدار هذا البحث لأحسن دليل على جور هذه الحياة وجبروتها، هذا الشاهد الذي مثله شاعر من أعماق المجتمع العباسي ، صرخ ولازال شعره يصرخ ليقول للناس جميعا اسمعوني ولو مرّةً واحدةً حتى تعلموا فقط أنني كنت موجودًا، ومازلت أحيا بكل ما أحمله من آلام، هذا الشاعر الذي عكس بكل صدق مدى ما وصلت إليه الأغلبية الشعبية آنذاك من فقر وحرمان.

وأنا لن أقول أنّ هذا الموضو ع: "**شعر الحرمان في العصر العباسي** " قد شغلني منذ زمن، أو أني فكرت فيه قبل هذا البحث، وإنما أقول أنني عندما كنت أبحث عن موضوع للدراسة لمحته ضمن مجموع ة من المواضيع، لكن كنت أتمنى في أعماقي أن يقبل كموضوع للبحث ، وسبب ذلك أن العنوان في حد ذاته كان يوحي إليّ أنني سأعيش معاناة وآلام إنسان كان يعاني مرارة الفقر والحرمان. فما هو الحرمان وما هي أسبابه في العصر العباسي؟ ومن هو الشاعر "**أبو الشمقمق**" وما هي مظاهر الحرمان في شعره؟

وقليلة هي الدراسات والبحوث الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع، فهناك من درس: "الاتجاه الشعبي في العصر العباسي "، "مظاهر المجتمع ومظاهر التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول"، " شعراء الظل في في العصر العباسي"، " تمرد الشعراء العباسيين على السلطة".

غير أنّ هذه الدراسات لم تتناول بالبحث ظاهرة الحرمان عند "**أبي الشمقمق**"، وإن أشارت إلى وجود هذه الظاهرة في ذاك العصر إلا أنها لم تعطها نصيبها الكافي من الدرس، الأمر الذي دفعني بحماس إلى خوض غمار هذا الموضوع والتفاعل مع حياة الشاعر "**أبي الشمقمق** " الذي اخترته للدراسة ؛ تلك الحياة المليئة بالشقاء والتعاسة التي كانت بارزة في شعره وتحديدا ذلك الشعر الذي يصف فيه حالته ومأساته ، وهو عندما يتحدث عن حرمانه نستطيع تخيّل حياة الأغلبية الشعبية آنذاك . وعليه جاء البحث موسوما بـــ: " شعر الحرمان في العصر العباسي" أبو الشمقمق أنموذجا" .

أمّا عن خطة هذا البحث فقد تضمنت : مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة وملخص.

تناولت في المدخل حياة الطبقة المترفة في المجتمع العباسي ؛ نظرا لانقسامه إلى طبقتين مختلفتين كل الاختلاف، طبقة الأثرياء وطبقة الفقراء، فقد خصّصت هذا المدخل لتوضيح الفرق الكبير بين حياة هاتين الطبقتين؛ الطبقة الأولى التي كانت تعيش في ترف وثراء فاحش في كل جوانب العيش، عكس الطبقة الثانية التي كانت حياتها محرومة من أبسط أمور العيش.

في الفصل الأول تطرقت إلى تحديد ماهية الحرمان في اللغة والاصطلاح وكيف عرفه علماء النفس وعلماء الاجتماع، ثم انتقلت إلى

أسباب ظهوره في العصر العباسي مما أدى إلى ظهور عدة طبقات محرومة تعبر عن رفضها لتلك الحياة بطرقها الخاصة كالسرقة والاحتيال والتطف ل وغيرها، و أنهيته بترجمة لحياة الشاعر "**أبي الشمقمق** ".

وقمت في الفصل الثاني بتقسيم شعره إلى عدة مجموعات، كل مجموعة عنونتها بالموضوع الذي تدور حوله فنتجت لدي في الأخير أهم تجليات أو مظاهر الفقر والحرمان في ذلك الشعر؛ حيث وجدت عدة أبيات يعبر فيها عن الألم النفسي الذي أصابه من تلك الحياة ، وعندما يشتدّ سخطه على تلك الحالة يصبّ جام غضبه على هجاء أولئك المترفين والبخلاء والثورة عليهم ، كما جاءت أشعار أخرى يظهر لنا فيها بعض الأماني والأحلام ويؤكد أنها لن تتحقق مهما طالت به الأيام، وبعد كل هذه المعاناة يقف مع نفسه وقفة يحمد فيها الله ويشكره ويعبّر عن مدى راحة باله واطمئنان نفسه.

وفي الفصل الثالث حاولت دراسة تلك الأشعار دراسة فنية ؛ حيث تطرقت إلى البناء العام لشعره والتغيرات التي طرأت علي ه وكيف كان ت لغة "**أب ي الشمقمق** "، كما درست بعض التراكيب اللغوية والصور ة الشعرية وبعض الخصائص الأخرى . لأخلص في الأخير إلى خاتمة هي حوصلة لأهم ما توصلت إليه من نتائج من خلال هذه الدراسة ، وملخص وهو عبارة عن خلاصة للموضوع. وقد استعنت بعدة مناهج وهذا لطبيعة كل فصل؛ حيث استخدمت المنهج الوصفي والمنهج التحليلي.

وقد اعتمدت في إنجازي لهذا البحث على ديوان "**أبي الشمقمق** " باعتباره المدونة التطبيقية والمصدر الأول لهذا البحث، إضافة إلى جملة من المصادر الأخرى التي كانت سندا لي وعونا في فكّ مغالق

الموضوع وبسط حيثياته المتشعبة، لعلّ أهمها بعض الأجزاء من كتاب "**الأغاني** " و "**العقد الفريد** " و"**طبقات الشعراء** " وكذلك بعض المعاجم والقواميس، ك ــ "**معجم الشعراء** و معجم "**لسان العرب**" وغيره ا، إضافة إلى استفادتي من بعض المراجع خاصة منها كتب تاريخ الأدب التي ساعدتني كثيرا منها : "**تاريخ الأدب العربي** " "**وضحى الإسلام** "، وبعض الرسائل الجامعية التي أوردتها جميعا مرتبة ومثبتة في قائمة المصادر والمراجع.

وأشير أيضا إلى أن الأمر لم يكن سهلا؛ فقد واجهتني صعوبات مختلفة خلال مراحل إنجازي لهذا البحث أولها: ضيق الوقت الذي قرّرته الإدارة، وأهم هذه الصعوبات قلة المراجع التي تناولت ظاهرة الحرمان في الشعر العربي والشعر العباسي تحديدا، وكذلك عدم وجود المصادر القديمة والمراجع الكافية في مكتبة المركز الجامعي لميلة، مما اضطرني إلى الانتقال بين جامعات أخرى كجامعتي قسنطينة وجيجل. لكني حاولت تجاوز كل ذلك بما أفادني به الأستاذ المشرف وبما جادت به تلك المكتبات التي سهلّت عليّ بعض الأمور في سبيل الوصول بالبحث إلى ماهو عليه الآن. وفي هذا السياق أتقدم بشكري الخاص إلى كل من مد لي يد المساعدة، وخاصة الأستاذ المشرف الدكتور"**مودع سليمان**" الذي لم يبخل عليّ بعطائه وسعة صدره. كما أشكر أعضاء اللجنة المناقشة على الجهد الذي قدمته في قراءة هذه المذكرة. وسأعمل بكل الملاحظات والتوجيهات التي تنصحني بها.

والله وليّ التوفيق.

مدخل

مدخـــــــل:

وقر في أذهاننا أن العصر العباسي (122هـ -656هـ) عصر تقدم وحضارة، عصر ازدهار أدبي وعلمي، عصر ترف وبذخ خاصة في بغداد لأنها كانت عاصمة الدولة العباسية أو بالأحرى عاصمة هذا التطور والازدهار؛ فقد عمّ الرخاء وساد البذخ في جميع مرافق الحياة، لكن بقدر ما كان كل هذا كان أيضا عصر ظلم واستبداد وطغيان، وانعدم فيه التكافؤ الاجتماعي وحلّ محله التمايز الطبقي، بقدر ما كان فيه الترف والبذخ كان فيه الحرمان والفقر المدقع ؛ فقد وصل فيه الغني إلى أسمى درجات الغنى، كما وصل الفقير فيه إلى أدنى درجات الضعف والفاقة؛ حيث نلمس أن المجتمع العباسي كان ينقسم إلى طبقتين مختلفتين كل الاختلاف هما: طبقة الحكام أي الطبقة الخاصة وطبقة المحكومين أي الطبقة العامة أو طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء، فقد كانت هاتان الطبقتان تسيران على طرفي النقيض.

إذ كانت الطبقة الأولى تتكون من الخلفاء والوزراء والأمراء والولاة والجنود والقضاة والتجار وأصحاب المزارع والثراء الواسع وغيرهم ممن يحتكون بالقصر، فهذه الطبقة تملك كل الخيرات وتملك حق التصرف فيها كما يحلو لها، فالخلفاء كانوا يحتلون المراتب الأولى من حيث الثراء والترف إلى درجة التسابق فيما بينهم، وهذا ما ذكره "**أحمد أمين**" بقوله: " إن كل خليفة كان يعلو -غالبا - درجة في سلم الترف و النعيم عمن قبله" [1]، وقد ظلت هذه الطبقة تغرق في النعيم الذي كان مصدره خزائن الدولة التي احتضنت في ذلك ميزانية ضخمة

(1)- أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، (دت)، ج1، ص104.

تمكن فعلا من حياة البذخ، حيث يقال أن: " دخل بيت المال سنويا لعهد الرشيد بلغ نحو سبعين مليونا ومائ ة وخمسين ألف دينار" [1]، أما الدخل العام لعهد "**الخليفة المقتدر**" لسنة **360**هـ " بلغ أربعة عشر مليونا وثمانمائة وتسع عشرين ألف وثمانمائة وأربعين دينار" [2]، أما "**الخليفة المكتفي**" قد خلف في بيت المال: " خمسة عشر ألف دينار." [3] فكل هذه الكميات الهائلة من الأموال كانت تنفق في عدة مظاهر لا تدل إلا على الدرجة العالية من الترف والنعيم الذي كان يعيش فيه الخلفاء والمقربون منهم.

مظـــاهـــر البـــذخ:

1- بناء القصور وزخرفتها:

عرفت حركة العمران في العصر العباسي تطورا كبيرا، وذلك لأن الخلفاء كانوا شديدي الولع ببناء القصور الشواهق إلى درجة التسابق فيما بينهم إلى زخرفتها وبهرجتها، فجاءت تلك القصور فخمة البناء تكتنفها حدائق واسعة بأشجارها ونافوراتها ومجاريها وأفنيتها الكبيرة، ولعل أكثر هذه القصور كانت ببغداد بلد الترف والنعيم والرخاء حتى قال أحد الشعراء فيها:[4]

أَعَايَنتَ فِي طُول الأَرْضِ وَالعَرْضِ كـــبَغـــدَادَ دَارًا؟ إنَّهَـــا جَنَّـــةُ الأَرْضِ صَفَا العَيشُ في بَغدَاد واخضَرَّ عُودُهُ وَعَيشٌ سِوَاهَا غَيرَ صَاف وَلاَ غَضُّ.

(1) – المرجع السابق، ص111.

(2) – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)، دار المعارف، مصر، ط12، 2001 م، ج4، ص53.

(3) – الأتاباكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، المؤسسة المصرية العامة،(دط)، (دت)، ج3، ص162.

(4) – أمين أبو الليل و محمد ربيع، العصر العباسي الأول، مؤسسة الوراق، عمان، ط1، 2006م، ص27.

فالخليفة العباسي "**أبو جعفر المنصور**" يعد أول من شاد الأبنية والقصور الفارهة، وقصر "**القبة الخضراء**" أول قصر بناه، فقد كان هذا القصر يقع في قلب العاصمة بغداد؛ " إنه يعرف بقصر الذهب أو قصر باب الذهب، وذلك نسبة إلى بوابة القصر حيث أنها كانت مصنوعة من الذهب الخالص."[1]

وكان الغرض عند "**أبي جعفر المنصور**" من بناء وتشييد القصور وزخرفتها هو تحويل أذهان الناس إلى ضرورتها وذلك تماشيا مع نظرة ومتطلبات الحياة الحضارية الجديدة، كما أنه بنى قصرا آخر وسماه "**قصر الخلد**" وذلك تشبيها له بجنة الخلد. ولا شك أن الخليفة قد أبدع إبداعا لم ير مثله في هذا القصر؛ حيث " كان له قباب بديعة الشكل، وبأبوابه مسامير من الذهب والفضة، تتخلله عمد مزينة بالصور والرسوم، وبه يوجد عرش يسمى" مجلس الأمير" فرش بالرخام، وكان بصدر هذا المجلس قبة يجلس فيها الخليفة وهي مفروشة بأفخر أنواع الحرير المنسوج بالذهب."[2]

أما الخلفاء الذين جاءوا بعد "**أبي جعفر المنصور**" فقد فعلوا مثله أو زادوا على ذلك من تفنن وإبداع في بناء القصور وزخرفتها بكل ما استطاعوا لذلك، وهذا ما فعله الخليفة "**المعتصم بالله**"، فقد أمر بإنشاء العاصمة الثانية للدولة العباسية وهي مدينة "**سامراء**" وقد سمي قصره "**الجوسق**". وكان هذا القصر يشتمل على ثلاث بوابات، وقد عرف ببوابته الرئيسية التي تعرف باسم "**باب العامة**"، ويقع بمحاذاة نهر دجلة

(1)– ثروت أحمد محمود وهدان، وصف القصور في الشعر العباسي(رسالة ماجستير)، مخطوطة جامعية، جامعة نابلس، فلسطين، إشراف: إبراهيم خواجة، 2003م، ص124.

(2)– مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع ومظاهر التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول(رسالة ماجستير)، مخطوطة جامعية، جامعة قسنطينة، إشراف: جودة الركابي، 1985م، ص20،21.

ويحتوي على: " ثلاث قاعات تغطيها عقود نصف اسطوانية تعرف باسم الإيوان، وكذلك قاعات خاصة بالخليفة والحريم، أما الجزء السفلي فكانت جدران قاعاته مكسوة بوزرة من الجص منقوشة بوحدات زخرفية، أما قاعات العرش فقد استبدلت الزخارف الجصية بلوحات من الرخام" [1]، وعلى هذا الشكل أيضا جاءت قصور الخليفة "**المقتدر بالله**"؛ حيث أحصي عدد ما علق في تلك القصور من ستائر الديباج المذهبة فكان " اثنا عشر ألف وخمسمائة ستر، أما عدد البسط و النخاخ فقد بلغ اثنين وعشرين قطعة" [2]، وكانت بإحدى هذه القصور شجرة من الفضة حيث كان وزنها خمسمائة ألف درهم، عليها أطيار مصنوعة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها [3]. أما قصر "**البرج**" فيعد أهم قصر من جملة قصور "**الخليفة المتوكل على الله**" وهذا راجع لجماله الناتج عن التصميم الجيد ومختلف الزخارف التي حظي بها من برك وأفنية وأفرشة وغيرها، وكان يشتمل أيضا على بركة عظيمة كان فرشها ظاهرا وباطنا يتكون من صفائح الفضة كأنها بركة صناعية تشبه بركة مرسومة في لوحة فنية، وفيه شجرة من ذهب في أغصانها وفروعها طيور تغرد وتصفر مكللة بالجوهر والزينة. وقد أطلق على هذه الشجرة اسم "**طوبي**" – وهي شجرة من أشجار الجنة – كما أن حيطان هذا القصر قد زخرفت من الداخل والخارج بالفسيفساء والرخام

(1) – ثروت أحمد محمود وهدان، وصف القصور في الشعر العباسي، مرجع سابق، ص 127، 128.

(2) – البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، (دط)، (دت)، ج1، ص 101.

(3) – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المذهب، أما درج القصر هو الآخر زخرف بصور الحيوانات والنسور.[1]

في كل ما تقدم يتضح لنا حجم النفقات التي كان ينفقها الخلفاء في بناء قصورهم وزخرفتها بكل ما استطاعوا، لكن ليس بقدر ما فعله الخليفة "**المتوكل على الله**" في بناء قصوره عامة وقصر "**البرج**" خاصة، فهذا الأخير وحده كلف المتوكل "مليونا وسبعمائة ألف دينار"[2]. إذا كان هذا القصر وحده كلفه كل هذه الأموال فلا عجب أن كل القصور التي بلغ عددها عشرون قصرا قد كلفته " مائتان وأربعة وسبعون مليونا من الدراهم".[3]

فكثرة هذه القصور تؤدي إلى اختلافها وتميز بعضها عن بعض ؛ فالخليفة "**المتوكل**" قام بتشييد كل هذه القصور ليتباهى بها وليس لحاجته لها حتى جاء كل قصر أجمل وأروع من الثاني، حتى أن الشعراء تحركت مشاعرهم وعواطفهم عند رؤيتها فلم يتركوا جانبا فيها إلا وصفوه وتغنوا به في أشعارهم، فهذا "**علي بن الجهم**" يقول في أبنية المتوكل[4]:

وَمَازلتُ أَسمَعُ أَنَّ المُلُـــــو كَ تَبنِي عَلَى قَدر أَخطَارهَا.

أما "**البحتري**" فيصف بركة قصر "**الجعفري**"– قصر من جملة قصور المتوكل– بقوله:[5]

يَا مَن رَأَى البِركَةَ الحَسنَاءَ وَرَونَقَهَا وَالآنسَاتُ إِذَا لاَحَـــت مَعَـــانِيهَـــا

مَا بَـــالَ دَجلَـــةَ كَالغُـــيَّر تُنَافسُـــهَا فِي الحُسنِ طَورًا وَأَطوَاراً تُبَاهِيهَـــا.

(1) – ينظر، ثروت أحمد محمود وهدان، وصف القصور في الشعر العباسي، مرجع سابق، ص 140.

(2) – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الثاني)، مرجع سابق، ص 55.

(3) – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) – الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تقديم: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م، ج1، ص 231.

(5) – البحتري، الديوان، دار المعارف الجليلة، قسنطينة، ط1، (دت)، ج1، ص 35.

فبعد ما رأيناه من جمال وروعة قصور خلفاء الدولة العباسية ومن حجم النفقات التي كانت تنفق على بنائها وزخرفتها، كان من الطبيعي أن تكتظ تلك القصور التي كانت تشبه المدينة بأضوائها ومطاعمها وملاهيها ومساجدها وحماماتها وجداولها وبساتينها بالخدم سواء كانوا بوابين أو فراشين أو طباخين أو غير ذلك، حتى ليقال أنه: " كان في دار الخلافة لأيام المكتفي عشرة آلاف خادم وعشرون ألف غلام للحرس."[1]

أما "**البغدادي**" فيقر أن قصر "**الفردوس**" كان " فيه من الخدم ما يعجز عنه الوصف حيث كان فيه ألفا خادم"[2]. أما في أيام "الخليفة "**المقتدر**" فقد كان في قصره أحد عشرة ألف خادم وأربعة آلاف امرأة بين حرة ومملوكة وألوف من الغلمان وأربعة آلاف وستمائة حارس وثمانمائة فرّاش. علينا بعد هذا الإحصاء أن نتصور حجم الأموال التي كانت تنفق على هؤلاء وسنجدها لا ريب تفوق الخيال؛ فقد كان ينفق على القصور والخدم والحرم في عهد "**المعتضد**" و"**المقتدر** " أكثر من ستين ألف دينار شهريا فما هو الغريب إذا كانت نفقة كل ما يجري مجراه مما يلزم دار الخلافة يبلغ سنويا أكثر من مليونين وخمسمائة ألف دينار؟[3]

2- التأنق في الملبس والمجوهرات:

من الطبيعي أن يبالغ بنو العباس وعلى رأسهم الخلفاء والأمراء والولاة في اللباس واقتناء أنواع الحلي والجواهر كمبالغتهم في تشييد القصور الفخمة وزخرفتها. فقد كانوا يرتدون ملابس الحرير المختلفة

(1) – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الثاني)، مرجع سابق، ص 54.

(2) – البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر سابق، ج1، ص 103.

(3) – ينظر، شوقي ضيق، تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الثاني)، مرجع سابق، ص 54.

الألوان والخز والملابس المطرزة بالذهب والأقبية الفاخرة والعمائم والعباءات وغيرها من الأشياء التي لا تصح لكافة الناس في العصر العباسي وإنما إلى الخاصة منهم فقط .

وأول خليفة عباسي اهتم بالملابس والتأنق فيها هو " أبو جعف ر المنصور"؛ حيث "رسم للوزراء لبس **الدرّاعات** بدل الدروع، كتب عليها بين كتفي الرجل " فسيكفيكهم الله و هو السميع العليم" كما رسم لهم لبس الطيلسانات والشاشيات وأمر أفراد عائلته بلبس القلانس الطوال."[1]

وكذلك كان "**المعتصم بالله**" محبا لمظهره ولباسه كحبه لقصره أو أكثر فقد وصف المؤرخون أناقته، وهذا ما جاء به "**المسعودي**" حيث قال: "أنه اشتهر بلبس قلانس طويلة ذات ألوان مختلفة سميت "بالمعتصميات" وهو الذي ألبس قواده وكبار جنده درّاعات الديباج المنسوجة بالذهب المرصعة باليواقيت والأكاليل المرصعة بالدرر من كل لون."[2]

أما "**الجاحظ**" فقد أشار في كتابه "**البيان والتبيين**" : " أن أصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب فمنهم من يلبس المبطنة ومنهم من يلبس الدرّاعة، ومنهم من يلبس القباء ومنهم من يلبس **البازبكند** ويعلق الخنجر ويأخذ **الجرز** ويتخذ **الجمة** ."[3]، فهذا الكلام يؤكد أنه قد حددت طبقات ومراتب الحاشية عند الخلفاء وخصصوا لكل طبقة الأزياء التي

(1) – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الأول)، دار المعارف، مصر، ط16، 2004م، ج3، ص 49.

الدراعات: الدراعة جبة مشقوقة من القدم.

(2) – المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر، موفم للنشر، وحدة الرغاية، الجزائر، 1990م، ج4، ص12.

(3) – الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ج3، ص115.

البازبكند: كساء يلقى على الكتف. **الجرز:** ضرب من السلاح. **الجمة:** الجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين.

ترتديها؛ فقد "اتخذ القضاة القلانس العظام" [1]، وكذلك العلماء: " فكانوا يلبسون الطيلسانات والكتاب والدراريع –وهي منقوشة من الصدر– أما القواد فقد كانوا يلبسون الأقبية الفارسية الصغيرة" [2]، بينما كان الشعراء " يرتدون الوشي والمقطعات والأردية السود وكل ثوب مشهر."[3]

رغم ما بلغه الخلفاء العباسيين من بهاء وتأنّق في زيهم وملابسهم لن يستطيعوا الوصول إلى قمة التأنق التي بلغتها نساء وبنات بني العباس وحتى جوارهن، فقد كن يصرفن أثمانا باهظة ليتباهين بالحلي والجواهر على اختلاف أشكالها وأنواعها، متخذات من ذلك تيجانا وأقراطا وخلاخيل وعقود وقلائد، ولعل امرأة لم تبلغ ما بلغته "**زبيدة**" زوجة "الرشيد" على رأي "**المسعودي**" حيث ذكر أنها " أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر وصنع لها الرفيع من الوشي الذي اتخذ لها بخمسين ألف دينار وهي أول من اتخذ القباب من الفضة والأبنوس والصندل، كما اتخذت الخفاف المرصعة بالجوهر وشمع العنبر."[4]

هنا يمكنني القول أنني قدمت شيئا من مظاهر البذخ الذي تمتع به الخلفاء وحواشيهم، فكما كان شأن بنائهم لقصورهم وزخرفتها وتأنقهم في ملابسهم واقتنائه م للجواهر والحلي، كان كذلك شأن أعراسهم وولائمهم وحفلاتهم، وهنا سأقوم بتوضيح كيف كانت تقام أعراس وولائم الطبقة المترفة في العصر العباسي.

3– الأعراس و الولائم:

(1) – أحمد أمين، ضحى الإسلام، مرجع سابق، ج1، ص 102.

(2) – مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و مظاهر التجديد من خلال الشعر العباسي، مرجع سابق، ص 40.

(3) – الجاحظ، البيان و التبيين، مصدر سابق، ج3، ص115.

(4) – المسعودي، مروج الذهب، مصدر سابق، ج4، ص 226.

من الشواهد التي تبرز كذلك حقيقة الترف والبذخ في هذا العصر اعتناء الخلفاء وأتباعهم بحفلات الأعراس وإقامة الولائم، إذ كان من الطبيعي أن يشيع في هذا الجو من الترف الاهتمام بتلك الأعراس والحفلات التي كانت تعكس بدون أدنى شك ما وصل إليه بنو العباس من الإغداق في النعيم والحياة الفارهة، فقد كانوا لا يفوتون مناسبة إلا أنفقوا ما لا يحصى ولا يعد من الأموال. وهذا ما فعله الخليفة "**المأمون**" في زواجه من "**بوران**" بنت وزيره "**الحسن بن سهل**" فقد " أعطى عروسه ألف ياقوتة، وأوقد شموع العنبر في كل واحدة مئة منّ وبسط لها فرشا كان الحصير منها منسوجا بالذهب مكللا بالدر والياقوت." [1]

وكذلك فعل "**المعتضد**" في زواجه من "**قطر الندى**" حيث " أصدقها ألف درهم (...) إنه جهزها بجهاز عظيم يتجاوز الوصف حتى قيل أنه دخل معها في جملة جهازها ألف هاون من الذهب" [2]، فليس من الصعب تصور المقدار الذي أنفقه "**المعتضد**" في حفلة الزفاف.

وعلى هذا المنوال تابع الخلفاء في زواجهم وزواج أبنائهم إنفاق الأموال الطائلة سواء كانت في إقامة حفلة الأعراس أو في صداق العروس أو في الهدايا التي كانت تقدم لها.

أما الولائم فقد كانت تعرض فيها أشهر وأفخر أنواع الأطعمة، وكان الخليفة "**المأمون**" شديد التفنن في المطعم والمشرب، حيث يروي أن مائدته قد ضمت يوما " ثلاثمائة لون من الطعام" [3]. أما أشهر الولائم التي شاع ذكرها في هذا العصر هي وليمة صيد أقامتها "**حمنة بنت عبد**

(1) – أحمد أمين، ضحى الإسلام، مرجع سابق، ج1، ص115.

(2) – الأتاباكي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج3، ص53.

(3) – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، مرجع سابق، ص 53.

الله الهاشمي" للخليفة "**المأمون** "؛ إذ أنها كانت كثيرة المال والجاه، فدعته مرة إلى دارها من أجل أن تطعمه من صيدها، فلما ذهب تعجب من روائح المسك والعنبر التي كانت تفوح من أرجاء البيت، كما تعجب أيضا من المناظر الخلابة الموجودة داخل البيت وخارجه وكانت حول تلك المناظر مائدة منصوبة عليها أنواع شتى من المآكل الفريدة فلما فرغوا من الأكل قال "**المأمون** ": والله ما طعمت قط مثل هذا الطعام وفتن من ذوق "**حمنة**" وظرفها فأمهرها من ساعته ألف ألف دينار ثم تزوج بها.[1]

فقد كانت أموال الدولة تصرف في تلك المظاهر التي سبق ذكرها، ولكن هناك أمور أخرى كانت تنفق وتبدر فيها، فقد كان للخلفاء أبنائهم وأحفادهم وحواشيهم وكان لهؤلاء حظ من أموال الخزينة أيضا، فأخذ الخلفاء يفرقون عليهم الأموال بالمئات والآلاف، إذ يذكر أن "**المأمون**" "فرق على حاشيته في ساعة واحدة أربعة وعشرين ألف ألف درهم" [2]، وكان "**المعتضد** " يجري على أولاده وأحفاده ذكورا وإناثا ألف دينار شهريا، أما أولاد "**الواثق**" و"**المهتدي** " فقد كان يجري عليهم خمسمائة دينار في الشهر.[3]

فكما يبدو أنهم لم يكونوا في حال غير حسنة بل كانوا في جميع الأحيان مترفين منعمين، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد اتخذ الخلفاء من أموال الخزينة ثروات لهم أيضا، إذ قيل أن " خزانة الجواهر في أيام

(1) – ينظر، مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و مظاهر التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص 36،37،38.

(2) – الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1986م، ج7، ص212.

(3) – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)، مرجع سابق، ص58.

المعتضد كانت مترعة بالجواهر النفيسة " [1]، ولما توفي خلف أملاكا قدرت بـــ " تسعة ألاف ألف دينار ومن الورق أربعين ألف ألف درهم، ومن الدواب والبغال والجمازات والحمير أثني عشر ألف رأس".[2]

أما الوزراء والولاة والقواد كانوا يعيشون في ذات النعيم، وذلك لما كانوا يأخذونه من رواتب ضخمة وما كانوا يختلسونه لأنفسهم من أموال الدولة؛ حيث يروى " أنه كان للفضل بن الربيع وزير الرشيد والأمين قطيعة تغل له سنويا مليون درهم" [3]، وكان "لصاعد" وزير "المعتمد" "من الرقيق والمتاع والكسوة والسلاح والآلات ما وصل مبلغه ثلاثمائ ة ألف دينار، أما مبلغ غلته في سائر ضياعه فقد وصل إلى مليون وثلاثمائ ألف."[4]

وكان يدخل في هذه الطبقة أيضا كبار التجار وفي مقدمتهم النحاسون والبزازون والعطارون وتجار الجواهر، إذ يقال أن أموال "**ابن الجصاص**" التاجر الجواهري الذي أشرف على جهاز "**قطر الندى**" – كما سبق ذكرنا– " فقد بلغت حينما صودرت في عهد المقتدر سنة 302 هـــ ستة عشر مليونا من الدنانير."[5]

ويأتي بعد هؤلاء القضاة الذين كانت تهطل عليهم الأموال حتى ليقال أن "**أبا يوسف القاضي**" قد أهداه "**الرشيد**" يوما درتين بديعتين، وكان راتبه الشهري عاليا، ثم يأتي العلماء والأطباء، ويعتبر "**سنان بن ثابت**" طبيب الخليفة "**المقتدر**" حيث كان " مبلغ النفقة فيه في العام سبعة ألاف

(1) – عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي (الأعصر العباسية)، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 1968م، ص398.

(2) – المسعودي، مروج الذهب، مصدر سابق، ج4، ص114.

(3) – المصدر السابق، ج3، ص236.

(4) – المصدر نفسه، ج4، ص 121.

(5) – الأتاباكي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج3، ص185.

دينار" [1]. وكان ينتمي إلى هذه الطبقة أيضا المغنون والشعراء؛ فقد كانت تكتظ بهم دار الخلافة، وكانت الأموال والجواهر تسيل على حجورهم، "**فالبغدادي** " يذكر أن الشاعر " العباس بن الأحنف" تحصل يوما على أربعين ألف درهم على أربعة أبيات قالها في رثاء "هيلانة" جارية الرشيد" [2]، أما الشاعر "**سلم الخاسر** " خلف حين توفي "خمسين ألف دينار" [3]، ولعل أكثر هؤلاء حظا هو "**إبراهيم الموصلي**" مغني "**الرشيد**" فقد " صار إليه من المال ما قدر بأربعة وعشرين مليون درهم سوى رزقه وراتبه الجاري وهو عشرة آلاف في كل شهر وسوى غلات ضياعه".[4]

كانت هذه إذن أهم مظاهر النعيم الذي تمتعت بها الطبقة الخاصة وخاصة بني العباس وأولادهم من رجال ونساء، صغارا وكبارا الذين بلغ عددهم " أيام المأمون ثلاثة وثلاثين ألفا " [5]، وكذلك وزراؤهم وحواشيهم وقوادهم وغير ذلك ممن ينتمون إلى القصر.

أما الطبقة الثانية والتي كانت تمثل أغلبية الشعب فقد ظلت تتجرع مرارة الفقر والحرمان، وكأن الدهر كتب عليها بأن تظل وسيلة وأداة مسخرة تستغل أبشع استغلال؛ حيث كان يقع عليها عبء العمل كله في الزراعة والصناعات الصغيرة وفي خدمة أرباب القصور، ولكن كل هذا الشقاء والكد كانا يُبتزان بشتى الطرق؛ حيث كان الذين يعملون في المزارع عبيدا لا يترك لهم إلا ما يسدون به أرماقهم، وذلك شيء كثير

(1) – المصدر نفسه، ص113.

(2) – البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر سابق، ج1، ص98.

(3) – الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب، بيروت، (دط)، (دت)، ج 21، ص77.

(4) – المصدر نفسه، ج5، ص163.

(5) – أحمد أمين، ضحى الإسلام، مرجع سابق، ج1، ص121.

مقارنة بأولئك الذين لم يكونوا يجدون رغيفا يابسا، لأن كل أبواب الرزق سدت في وجوههم. وربما كان الخدم أحسن هؤلاء حالا؛ لأنهم على الأقل لم يكونوا يجوعون في قصور الخلفاء.

أما صغار الصناع والتجار والفراشين والبوابين فقد كانوا مثلهم مثل رقيق الأرض لا يكادون يجدون لقمة يبتلعونها إلا نادرا.

وكان في هذه الطبقة من لا يجد بيتا يأويه ولا حتى رداء يكسوه، وليس أدل على هذا من هذه الأبيات التي قالها "**أبو الرقعمق**" حينما ذبح إخوانه ذبيحة ثم بعثوا إليه يستشيرونه في الأكلة المفضلة لديه[1]:

أَحْبَابَنَا عَزَمُوا الصَّبُوحَ بسُحرَةٍ فَأَتَى رَسُولُهُم إليَّ خُصُوصَـــا

قَالُوا: اقتَرِحْ لَونًا يُجَادُ طَبيخُهُ قُلتُ: أطْبِخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصَا.

فأي ظلم أكثر من هذا، إنسان يسكن أفخم القصور ويأكل أشهى الأطعمة ويلبس أفخر الألبسة، وكل هذا يأتيه دون شقاء أو عناء، وإنسان يشقى ويكد إلى أبعد حد ولا يجد لقمة يبتلعها ولا بيتا يأوي إليه ولا حتى كسوة تستر جسده.

ومما كان يزيد هذه الطبقة بؤسا وشقاء تلك الأسعار التي لم تكن ثابتة، وكثيرا ما كان يرتفع ثمن القمح والشعير حتى يصبح حصول العامة عليه أمرا عسيرا، إذ يروى أنه عمّ ببغداد سنة 260هـ غلاء فاحش بلغ على إثره الكرّ من الحنطة مائة وخمسين دينارا[2].

(1) – ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس،دار صادر، بيروت، (دط)، (دت)، ج1، ص455.

(2) – الأتاباكي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج3، ص31.

وقد رفع "**أبو العتاهية**" شكوى مريرة من غلاء الأسعـــار، مصورا مـــا كـــانت تعيـــش فيه طبقات الشعب الدنيا من ضنك وبؤس، وكيف لا تجد يدا تمتد إليها، وتخمد نـــار الفقر المشتعلة بين أبنائها، ولا من يطعم الجائع فيها، ويكسو العاري ويسقي الظمآن. يقول[1]:

مَن مُبْلِغٍ عَنِّي الإمَـــــا مَ نَصَـــــائحًا مُتَوَاليَـــه

إنّي رَأَيتُ الأَسعَـــارَ أَسْـــــــــــــــعَارَ الرَعيَّـــةِ غَاليَـــــــه

وَأَرَى المَكَـــاسِبَ نُـــزْرَة وَأَرَى الضَرُورَةَ فَاشيَه

مَن يُرتَجَى لِلنَاس غَيـــــــــــــــــــرُكَ للعَيـــنِ البَاكيَـــــه

مَن للبُطُـــون الجَائعَـــــا تِ وَللجُسُوم العَاريَـــه.

أما من كان لديه مال من بين هذه الأغلبية فكأنما يقع تحت طائلة العقاب بسبب كثرة الضرائب التي كانت تفرض على الأسواق[2]. لهذا فلا عجب أن نجد الأغلبي ة الساحق ة من هذه الطبقة تعمل كل المهن الحقيرة؛ حيث نشأت فيها كثير من الطبقات تحاول كسب المال بشتى الطرق والحيل كالمهرجين والطرّافين والمكدين. وهذا يدل دلالة قوية على ما كانت تعانيه هذه الطبقة من البؤس والعيش المر.

من خلال كل هذا يتضح مدى الفرق بين حياة هاتين الطبقتين؛ حيث كانت الأولى تتمتع بكل الخيرات في حياتها، أما الثانية لم تكن تجد ما تسكت به بطونها ولا حتى المنزل الذي تأوي إليه. فهنا يمكنني تصحيح ما شاع عن العصر العباسي من أنه عصر ترف ورفاهية. وستتضح هذه الفكرة أكثر فأكثر في الفصول الآتية بإذن الله.

(1) – عادل جابر صالح محمد، تاريخ الأدب العربي القديم، دار صفاء، عمان، ط1، 2010م، ص77.

(2) – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)، مرجع سابق، ص63.

الفصـــــل الأول

1- مـــاهيـــة الحرمـــان:

1-1- المـــاهية اللغويـــة.

1-2- الماهية الاصطلاحية.

1-3- الحرمان عند علماء النفس.

1-4- الحرمان عند علماء الاجتماع.

2- نظرة الإسلام إلى الفقر والحرمان.

3- أسباب الحرمان في العصر العباسي:

3-1- التضييق الاقتصادي.

3-2- كثرة الفتن والاضطرابات.

4- ترجمة لحياة أبي الشمقمق:

4-1- اسمه ونسبه ونشأته.

4-2- أسباب حرمانه.

4-3- علاقته مع بعض شعراء عصره.

1- ماهيـــة الحرمـــان:

يعد مصطلح الحرمان من بين المصطلحات الأدبية التي أجمع اللغويون على وضع مفهوم عام وشامل يعكس الماهية الفعلية له، فما هو هذا المفهوم المتفق عليه؟

1-1- الماهية اللغوية للحرمان:

جاء في "**لسان العرب**" : " الحِرم: المَنْعُ وَالحِرْمَةُ وَالحِرْمَانُ، نَقِيضُهُ الإِعْطَاءُ وَالرِّزْقُ. يُقَال: مَحْرُومٌ وَمَرْزُوقٌ، وَحَرِمَهُ الشَّيْءَ يَحْرِمُهُ، وَحَرِمَهُ حِرْمَان وَحِرْمًا وَحَرِيمًا وَحِرْمَةً وَحَرِمَةً وَحَرِيمَةً وَأَحْرَمَهُ: مَنَعَهُ العَطِيَّةَ."[1]

كما جاء في "**الصحاح**" : " وَحَرِمَهُ الشَّيءَ يَحْرِمُهُ حَرِمًا بِكَسْرِ الرَّاء وَحِرْمَةً وَحَرِيمَةً وَحِرْمَانًا وَأَحْرَمَهُ أَيْضًا: إِذَا مَنَعَهُ إِيَّاه "[2].

أما في "**القاموس المحيط**" : " حَرَمَهُ الشَّيءَ كَضَرَبَهُ وَعَلَّمَهُ، حَرِيمًا وَحِرْمَانًا بِالكَسْرِ وَحِرْمًا وَحِرْمَةً بِكَسْرِهِمَا وَحَرِمًا وَحِرْمَةً وَحَرِيمَةً بِكَسْرِ رَائِهِن: مَنَعَهُ، وَالمَحْرُومُ: المَمْنُوع عَنِ الخَيْرِ، وَمَنْ لاَ يَنْمِي لَهُ المَال، وَقِيلَ أَيْضًا أَنَّهُ المُحَارِفُ الذِي لاَ يَكَاد يَكْتَسِب."[3]

وهو نفس المعنى الذي جاء به " **قاموس الهدى**" : " الحِرْمَانُ: المَنْعُ وَنَقِيضُ الرِّزْق."[4]

ويتفق اللغويون المعاصرون مع ما سبق في هذا الشأن فيحددون الحرمان بأنه: " هُوَ أَنْ تَكُونَ أَشْيَاءٌ ضَرُورِيَةٌ مُمْتَنِعَةٌ عَنِ الإِنْسَانِ إِمَا

([1])- ابن منظور، لسان العرب، دار صبح وايدسوفت، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2006م، ج3، مادة حرم، ص131.

([2])- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م، ج5، مادة حرم، ص1897.

([3])- الفيروزبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م، مادة حرم، ص 1092.

([4])- قاموس الهدى، دار الهدى، المكتبة الوطنية، عين مليلة، (دط)، (دت)، مادة حرم، ص128.

بِسَبَبِ الظُّرُوفِ وَإِمَا طَوَاعِيَة، مَحْرُومٌ: جَمْع مَحْرُومُون: الذِي حُرِمَ شَيْئًا أَو مُنِعَ عَنْهُ التَّمَتُعَ بِهِ، أَيْ الذِي لَيْسَتْ عِنْدَهُ مَا عِندَ غَيْرِهِ؛ مَمْنُوعٌ مِنَ الخَيْرِ".[1]

في كل ما تقدم نستطيع القول أن المعنى اللغوي للحرمان هو المنع من الرزق أو الخير أو المال، فلان محروم من المال أي منع عليه.

1-2- الماهية الاصطلاحية للحرمان:

تعتبر ظاهرة الحرمان واحدة من أهم وأقدم المعضلات التي شهدتها المجتمعات وأقرتها النظريات الاجتماعية والاقتصادية، والحرمان هو انعدام الفرصة لتحقيق الدوافع أو الرغبات أو انتقائها بعد وجودها، مثل الحرمان النفسي والحرمان البيئي. ومصطلح الحرمان يتداخل مع عدة مصطلحات كالفقر والمسغبة والحِرف والبؤس والشقاء...الخ، فلا يمكن أن نفصله على هذه المعاني لأنه مشتق منها وهي مشتقة منه، فالحرمان مرتبط بالفقر والفقر مرتبط بالمسغبة والبؤس وغيرها، والفقير هو العاجز عن تلبية حاجيات المعيشة لنفسه ولعياله إلى درجة شديدة؛ وكأنها كسرت فقرات ظهره فلا يقدر على تلبية طلباته وطلبات أسرته فيلجأ إلى طلب العون من الآخرين.

إلا أن "**أبا هلال العسكري**" فرق بين هذه المصطلحات وأعطاها درجات؛ فالفرق بين الحرمان والحِرف أن "الحرمان هو عدم الظفر بالمطلوب عند السؤال يقال سأله فحرمه، والحِرف عدم الوصول إلى المنافع من جهة الصنائع، يقال للرجل إذا لم يصل إلى إحراز المنافع في صناعته: انه محارف، وقد يجعل المحروم خلاف المرزوق، فيقال هذا

([1])- أنطوان نعمة و آخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط2،2001م، مادة حرم ص276.

محروم وهذا مرزوق." [1]، إذا فالحرمان هو عكس الرزق، والمحروم عكس المرزوق، وهو الذي منع عليه الخير والرزق.

كما قدّم أيضا الفرق بين الفقير والبائس إذ قال: " البائس هو الذي يسأل بيده، ويسمى من هذه الحالة بائسا لظهور أثر البؤس عليه بمد يده للمسائلة وقال بعضهم هو بمعنى المسكين، لأن المسكين هو الذي يكون في نهاية الفقر قد ظهر عليه السكون للحاجة، وسوء الحال، وهو الذي لا يجد شيئا."[2]

أما الفرق بين الفقير والمملق فيرى أن: " المملق مشتق من الملق وهو الخضوع والتضرع فلما كان الفقير في أكثر الأحوال خاضعا متضرعا سمي مملقا."[3]

ويجوز القول أن الإملاق هو عدم التمكن من النفقة على العيال، ولهذا قال تعالى- سورة الإسراء الآية 31-: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ أي خشية العجز عن النفقة عليهم.

وهنا ألاحظ تداخلا بين هذه المصطلحات فكلها تؤدي وظيفة واحدة وهي وصف حالة يعيش فيها جماعة من الناس نتيجة لظروف مختلفة. فالفقر والحرمان من أعظم المصائب والكوارث في حياة البشر التي يصعب حلّها.

1-3- الحرمان عند علماء النفس:

يربط علماء النفس الحرمان بالحزن لأنه أحد عوامله، والحزن هو ألم نفسي ناتج عن فقدان أشياء محبوبة أو عدم تحقيق رغبات مقصودة، من هنا نعرف أن الحزن جزء لا يتجزأ من الحرمان، فلا

(1)- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 179.
(2)- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(3)- المصدر نفسه، ص 178.

يمكن أن يكون إنسان محروم يعاني مرارة الفقر والجوع وهو سعيد.

والحرمان له وجوه كثيرة ومتنوعة مما تحبه النفس وتأمله ولم تجده، أي حب الإنسان لشيء لم يجده ولم يتحقق وكذلك لحدوث شيء كان الإنسان يكره أن يحدث فقال عزّ وجل في سورة البقرة الآية 216-: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ. ﴾

1-4- الحرمان عند علماء الاجتماع:

يرتبط التراث التاريخي لظاهرة الحرمان بالفوارق الكبيرة في الثروة، وبوجود أفراد أثرياء أو أمم غنية تجد في مصلحتها إبقاء الأمم الأخرى في حالة حرمان وفقر مستمر.

والحقيقة أن الحرمان هو من أخطر القضايا وأكثرها تعقيدا وقياسا وقراءة، فهو ينطق عن مفارقة واقعية تجمع ما بين السبب والنتيجة، ويعتبر الحرمان مصدر المشكلات وكافة الشرور التي يعاني منها الأفراد في أي مجتمع في التاريخ الإنساني.

أما "**عبد الرزاق الفارس**" فيرى أن هناك مكونين مهمين لابد أن يبرزا في أي تعريف لمصطلح الحرمان، وهذان المكونان هما مستوى المعيشة والحق في الحصول على حد أدنى من الموارد؛ ومستوى المعيشة يمكن التعبير عنه بالاستهلاك لسلع محددة، مثل الغداء أو الملبس أو السكن أي الحاجات الأساسية للإنسان، التي تسمح بتصنيف أي فرد لا يستطيع تحقيقها ضمن دائرة الحرمان. أما الحق في الحصول على الحد الأدنى

من الموارد فهو لا يركز على الاستهلاك بقدر تركيزه على الدخل، أي الحق في الحصول على هذه الحاجات أو القدرة على الحصول عليها.[1] والحرمان هو حالة تعيشها جماعة من الناس لمجرد الوجود فقط، أي هو الفقر والحاجة والعوز الناتج عن عدم إشباع الحاجات الأساسية لحياة الإنسان، وقد اختلفت اتجاهات المفكرين نحو المحرومين والفقراء وتباينت من مفكر إلى آخر ففي الوقت الذي يرى فيه كثير من المفكرين أن الفقراء هم أناس فضلاء وأتقياء قانعين، فإن البعض ينظر إليهم على أنهم أشرار وحقراء ينزعون إلى الجريمة نزوعا.[2] وقد ينتج عن الحرمان شعور الفرد دائما باليأس وفقدان الأمل والانحطاط وأنه لا يستطيع أن ينجز أي تقدم أو نجاح في ضوء القيم والأهداف التي تسود المجتمع الذي يعيش فيه، كما ينتج عنه " إحساسهم أنهم قاصرون على تقديم المقابل المادي لكي تتقبلهم النظم التي يضعها المجتمع."[3]

فعلماء الاجتماع يرون أن مفهوم الحرمان يختلف باختلاف البلدان والثقافات والأزمنة، ولا يوجد اتفاق دولي حول تعريفه نظرا لتداخل العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تشكل ذلك التعريف وتؤثر عليه. وعليه فهناك اتفاق حول مفهوم الفقر على أنه حالة من الحرمان المادي الذي يترجم بانخفاض استهلاك الغذاء كما ونوعا وتدني الوضع الصحي والمستوى التعليمي والوضع السكني.

---

(1)– ينظر، عبد الرزاق الفارس، الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2001م، ص 22 .

(2)– ينظر، حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفقر والمجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2007م، ص 27 .

(3)– المرجع السابق، ص 29 .

2-نظرة الإسلام إلى الفقر والحرمان:

إن الإسلام لم يأت ليجعل الناس فقراء محرومين مكتفين بالتقوى والزهد، بل العكس صحيح؛ فقد جاء ليحرر الناس من قيود العوز وسلاسل الحاجة التي تجعله عبدا لغير الله من الحكام والأغنياء والأهواء والشهوات، وتكفي الإشارة إلى أن عبادة الله هي هدف الإسلام الأساسي، فقد اقترنت بتوفير رغد العيش والأمن للبشر من خالقهم سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى في - سورة قريش الآية 4،3 - : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾

لذا فالإسلام – بمصدريه الأساسين القرآن والسنة– جعل الفقر عرضا طارئا في حياة الإنسان لا بد أن يتجاوزه لما فيه من مخاطر على كرامته ونمط تفكيره وأنه سبيل من سبل الشيطان المنحرفة، فقد قال تعالى في - سورة البقرة الآية 268- : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾. بل إن دعوة الله سبحانه وتعالى للتمتع برغد العيش تتضح في قوله تعالى في - سورة نوح الآيات 10،11،12- : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾.

رغم ما للحرمان من شقاء وتعاسة في الدنيا إلا أن للإنسان الفقير والمحروم ثواب في الآخرة؛ فالإسلام لا ينظر إلى الفقر على أنه عيب اجتماعي أو ذلة للفقير ومنقصة من كرامته، فالإسلام جاء ليعلم عامة الناس أن الكرامة والرفعة ليست بالثروة والجاه؛ بل الإيمان يكون بالعلم والعمل الصالح والتقوى كما في قوله تعالى في - سورة الحجرات آية 13-: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾.

والناس في المجتمع العربي الجاهلي كانوا يقيسون أقدار الناس بمبلغ ما يملكون من أموال وما صاحَبها من جاه وسلطان؛ حتى أنهم اعترضوا على نبوة "**محمد صلى الله عليه وسلم**" في أول الأمر. ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم "**للنبي صلى الله عيه وسلم**": " اجعل لنا يوما يجيئون إليك ولا نجيء، ونجيء إليك ولا يجيئون " يعنون بذلك التفريق بينهم وبين الفقراء في المجالس فنزل عليه قوله تعالى- سورة الكهف آية 28،29- : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا، وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1].

إذا فالإسلام حطم أي حواجز تفرق بين الغني والفقير؛ ففي العبادات نجد الفقير يؤديها بجوار الغني، وكذلك المعاملات والحدود تقام على الغني مثل الفقير ولا يستثنى منها أحد لفقره أو لغناه. فالإسلام بيَّن أن حقيقة الإنسان تكمن في إيمانه وعمله لا في فضته وذهبه أو ملبسه وزينته.

فرغم كل هذا فالإسلام فضّل الفقير على الغني في الآخرة وهذا ما أكده "**أبو حامد الغزالي**" بقوله: " إن الأخبار في مدح الفقير أكثر من أن تحصى." [2] لأن الفقير القانع أفضل من الغني الحريص، " **فعبد الرحمان الحبليّ**" قال: " جاء ثلاثة نفر إلى عبد الله بن عمر بن العاص، فقالوا له: يا أبا محمد إنا والله ما نقدر على شيء، لا نفقة ولا دابة ولا متاع. فقال لهم: ما شئتم؟ إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسّر الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان، وإن شئتم صبرتم، فإني سمعت رسول الله

(1)- ينظر، أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، 1982م، ج4، ص182.
(2)- المصدر نفسه، ص192.

صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الفقراء يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا ". قالوا: فإنا نصبر لا نسأل شيئا."[1]

3- أسباب الحرمان في العصر العباسي:

3-1- التضييق الاقتصادي:

لم تكن الحياة الاقتصادية في العصر العباسي سليمة ولا حسنة بل كانت مضطربة كل الاضطراب، فلم تحقق الخير والأمن والسلامة للناس على اختلاف طبقاتهم، إنما حظي بالخير والأمن نفر قليل من الناس هم الخلفاء وأبناؤهم وحواشيهم ومن كان يتصل بهم، وللاختلال الاقتصادي في هذا العصر أسباب منها:

1- العنف في جباية الخراج وزيادته؛ فقد كان أكثر العمال يمارسون الظلم والعنف على الناس ويتشددون في جمع الخراج ويطالبونهم فوق ما عليهم، إذ جعلوه على النخل والشجر وعلى أهل الأسواق وعلى الدواب، كما كانوا يزيدون في كل مرة ضعف ما كان أولا، وذلك لجمع الأموال الكثيرة منهم، وهذا ليقتطعوا قسما منها لأنفسهم، وإما ليكسبوا رضي الخلفاء عنهم، " فقد كان أبو أيوب سليمان المورياني وزير المنصور يحب جمع المال ليتقرب به إليه."[2]

فهذا الوضع جعل الناس يثورون على الولاة مطالبين إياهم بالعدل في سياستهم والقصد في فرض الأموال الباهظة عليهم، حتى لجأوا إلى قتل بعض العمال إذا بالغوا في بغيهم وظلمهم وجورهم، " ففي عهد الرشيد تولى خراج مصر سنة ثلاث وسبعين ومائة عمر بن غيلان فضيق على

([1])- المنذري، مختصر صحيح مسلم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار عفّان، السعودية، ط1، 1411هـ، ص547.

(2)- حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، ط4، 1997م، ص 17.

الناس وعلى أهل الخراج فنفرت منه القلوب وثار عليه الجند وقاتلوه."[1]

2- عزل الخلفاء لبعض وزرائهم وعمالهم؛ وذلك لسوء سيرتهم وخيانتهم ومصادرتهم الأموال التي كانوا ينهبونها من بيت المال ويحتجزونها لأنفسهم ويحرمون الشعب منها . " فأبو جعفر المنصور قد عزل وزيره المورياني وصادر منه ماله وحبسه."[2]

3- تخصيص الخلفاء الأموال للجيش؛ فمثل تلك الأموال التي كان يتمتع بها للوزراء أو العمال أو أكثر منها ما خصصها الخلفاء للجيش الذي كان موجودا بكثرة، فقد أفاضوا في الإنفاق عليهم، تحسبا منهم تثبيت أركان الدولة وهزم وسحق الثائرين عليهم، لأن الجيش كان بمثابة العمود الفقري لقوة العباسين؛ حيث كان عددهم كبيرا جدا ، "**فالمنصور**" كان دائم الإغداق على جنوده وقواده؛ " فقد انفق خمسين ألف ألف درهم وزيادة على خمسين ألفا من جنوده لمقاتلة الخوارج بإفريقية."[3]

4- صرف الأموال على الخصوم، فلم يغدق الخلفاء العباسيون الأموال على جنودهم وقوادهم فحسب، بل أغدقوها أيضا على خصومهم اتقاء شرهم وتهدئة لهم.

فهذه السياسة الجائرة من تكليف الناس مالا يطيقون والتضييق عليهم في جباية الأموال ومنعها عنهم، وانتهاب الخلفاء أكثرها لأنفسهم، واغتصاب الوزراء قسما كبيرا منها، وتفريق بعضها في أمور لا تفيد الأمة كان لها نتيجتان:

---

(1)- الأتاباكي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج2، ص 74.

(2)- المصدر نفسه، ج5، ص 24.

(3)- حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص22.

النتيجة الأولى: محاولة الناس رد الظلم عنهم إما بالشكوى وإما بالامتناع عن دفع الخراج، وإما بالثورة على العمال ومحاربتهم والفتك بهم.

النتيجة الثانية: انقطاع الصلة بين بيوت المال وبين الرعية، فالخلفاء لم يخصصوا مبالغ يصلون بها الفقراء والمحتاجين، كأن ظلم الناس وقطع الأرزاق عنهم قانون لابد من الأخذ به في الدولة العباسية، مع أنه كان من واجب الدولة أن تعتني بهم وتوفر لهم الحياة الكريمة.[1]

3-2- كثرة الفتن والاضطرابات:

بدأت هذه الفتن والاضطرابات منذ الفترة الأولى من قيام الدولة العباسية؛ لأن العباسيين أقاموا دولتهم على المخادعة والبطش، وتعقبهم للعلويين وتنكيلهم لهم ومراقبتهم والتضييق عليهم، وسفكهم دماء الأمويين، فمع كل هذا الظلم والاستبداد الذي أقاموا به دولتهم كان من الطبيعي أن يحيل بينهم وبين انتفاض الناس عليهم والسعي للإطاحة بهم مما أدى إلى كثرة الفتن والاضطرابات في الدولة العباسية وهذا لأسباب عديدة منها:

1- الصراع على الحكم والتنازع على السلطان؛ ونجده في ثورة أبناء البيت العباسي بعضهم على بعض، وفي ثورات الخوارج والشيعة، إذ تمكن "**أبو جعفر المنصور**" من القضاء على ثورة عمه "**عبد الله بن علي**" بدمشق وحبسه وقتله [2]. وعلى هذا النحو استطاع "**المأمون**" قتل أخيه "**الأمين**" حين اختلفا على الحكم. أما الخوارج فأثاروا على العباسيين حروبا لم تنقطع إذ استمرت منذ مطلع أيامهم إلى نهايتها غير

(1)- ينظر، المرجع السابق، ص 25.

(2)- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج10، مصدر سابق، ص 329.

أن مصيرها كان في الغالب الإخفاق والسحق، وبالمثل ثار الشيعة على الخلفاء العباسيين مرارا وتكرارا، محاولين الإطاحة بهم واستخلاص الحكم منهم، ففي عهد "**أبي جعفر المنصور**" خرج بالمدينة "**محمد بن عبد الله**" وقاتل هو وأتباعه جيشا بقيادة "**عيسى بن موسى**" على مشارف المدينة قتالا عنيفا حتى قتل.[1] وفي أيام الهادي خرج "**الحسين بن علي**" بمكة فسار إليه جيش عباسي، فنازله بفخ بالقرب من مكة نزالا شديدا، ولم يزل يصارعه حتى لاقى حتفه مع كثير من أصحابه وبقيت جثثهم مطروحة في العراء حتى أكلتها السباع والعقبان.[2]

2- الرغبة في الانفصال والاستقلال؛ فهو السبب الثاني الذي أدى إلى كثرة الفتن والاضطرابات هو رغبة بعض المناطق في إقامة دولتها ويظهر هذا مع أهل خراسان في ثوراتهم الكثيرة والمستمرة، مع أن المؤرخين القدماء يرجحون أن قتل "**أبا جعفر المنصور**" " **لأبي مسلم الخرساني** " هو الذي هيّج أهل خراسان وأغراهم بالثورة إلا أن هناك دوافع عديدة دفعتهم إلى التمرد منها:

- أنهم كانوا يتأثرون بمذهب المزدكية الذي شاع بينهم قبل الإسلام.
- كانوا يحسون أن العنصر العربي الذي فتح بلادهم قد قهرهم وغلبهم، واستبد برقابهم، واستأثر بالحكم من دونهم، مما كان يثير عصبيتهم القومية ويدفعهم إلى مصارعته لاسترداد استقلالهم أو للمشاركة مشاركة فعلية في تولي شؤونهم وتسيير أمورهم.
- أنهم رأوا أن أحوالهم الاقتصادية لم تتحسن كثيرا، بل ساءت وتدهورت وإن كان بعض الخلفاء قد سعى إلى إصلاح الخطأ

(1)- المصدر نفسه، ص 282.

(2)- المصدر نفسه، ص 551.

ونشر العدل بينهم، فان سعيه قصر عن إنصافهم، ورفع الحيف والعسف عنهم.[1]

كان من الطبيعي في ظل هذه الظروف أن تعطل أسباب الأمن والنظام، وتشل وسائل الاكتساب والارتزاق، وتضيق على الناس أشد التضييق؛ بحيث تعذر عليهم طلب الرزق، وانقطعت عنهم مؤونة المعاش، أما أنباء الطبقة الدنيا فليس من شك في أنهم كانوا يفتقرون في تلك الأحوال القلقة المضطربة اشدّ الافتقار، ويعانون اشدّ المعاناة.

وكان من آثار انقطاع الصلة بين بيوت المال وبين المعدمين والمحتاجين انتشار الفقر، مع العجز عن التماس وسائل العيش بالطرق المشروعة، مما حمل جماعات من البائسين الذين كانوا يعانون الجوع والحرمان على التمرد على أوضاعهم السيئة، و السعي إلى كسب أقواتهم، إما بالإغارة على المدن وسرقة الأسواق والتجار، وإما بالتعرض للأغنياء ومطالبتهم بالأموال التي يقيمون بها أرمقاهم مع تهديدهم إذا بخلوا عليهم بالقليل من المال بهجائهم والتشهير بهم، وإما بالتطفل والدخول على المآدب والأعراس دون دعوة أو إذن مسبق. لهذا ظهرت ثلاث طوائف تسعى إلى تدبير لقمتها بشتى الوسائل مهما كانت طبيعتها هي:

(1)– ينظر، حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص44.

1- العيـــــــارون :

جاء العيار في اللغة من: " عار الرجل يعير عيرانا، وهو تردده في ذهابه ومجيئه" [1]، أي هو الرجل الذي يتصف بالفطنة والقوة والنشاط وكثرة الطواف والحركة. فالعيارون هم فئة فقيرة من المجتمع، أو كما قال "**ابن الأثير**" : " أنهم فئة متميزة من الصعاليك الفقراء " [2]، أكثرهم من الأحباش والأفارقة، تم جلبهم إلى بغداد للقيام ببعض الأعمال الحقيرة؛ إلا أنهم لم يجدوا شروط الاستقرار، ولما شعروا بسوء المعاملة من قبل العامة والخاصة، ولما ضاقت بهم سبل العيش لم يستطيعوا الصبر والسكوت على هذا الوضع، فالتجأوا إلى رفض الواقع عن طريق أعمال السطو والسرقة حتى صاروا من أهل السجون. ولم يكن لهم أماكن يلتجئون إليها ويحمون أنفسهم فيها، أما معاشهم فقد كانوا يعتمدون على غنائم الحروب والأتاوى التي كانت تفرض على أثرياء القوم، وكذلك حصيلة السلب والنهب. " فالعيارون اعتبروا الأغنياء من الغدر والفجرة ورأوا أنهم أولى منهم بما في أيديهم لكذبهم وغشهم وتركهم إخراج الزكاة وجحودهم الودائع" [3]. فقد وجدوا في سرقة الأغنياء أمرا مشروعا. ومما يروى عنهم أنهم كانوا أقوياء محاربين يحسنون البلاء في الحرب، وهذا الشاعر "**عمرو الوراق**" يصف سوء أحوالهم وعري أبدانهم، وكيف أنهم كانوا من اللصوص العراة الذين يبحثون عما يسترون به أجسادهم، مصورا اندفاعهم إلى الحرب

([1])– ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج9، مادة عار، ص484.

([2])– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب، بيروت، 1975م، ج6، ص275.

(3)– محمد أحمد عبد المولى، العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط2، (دت)، ص 58.

وحرصهم على الفوز وانقضاضهم على الفرسان المسلحين دون اكتراث لما قد يصيبهم فيقول:[1]

عُرِيَانٌ لَيسَ بِدِي قَمــيصٍ يَغدُو عَلَى طَلَب القَمِــيصِ
يَغــدُو عَلَى طَلَب جَوشَنٍ يَعمِي العُيُونَ مِنَ البَصِيصِ
فــي كَـــفِّهِ طَـــرَّادَةٌ حَمرَاءَ تَلمَــعُ كَالفُصُــوصِ
حَرصًا عَلَى طَلَب القِتَالِ أَشَدَّ مِنْ حِرْصِ الحَرِيــصِ
لَيثًــا مُغَيــرًا لَــمْ يَــزَل رَأسًــا يُعَدُّ منَ اللُصُــوصِ .

إذا فالعيارون يمثلون تكتل طائفة من الطبقة العامة نتيجة التباين الاقتصادي والطبقي وسوء الوضع المعاشي والفوضى السياسية التي ظهرت في العصر العباسي.

2- الشطـــــــار:

الشطار هم أيضا طبقة فقيرة رفضت الواقع الذي تعيشه، ومعنى الشاطر في اللغة: " شطر عن أهله شطورا وشطورة وشطارة إذا نزح عنهم وتركهم مراغما أو مخالفا وأعياهم خبثا " [2]. والشطار هم جماعة من عامة الشعب نظمت نفسها على شكل تكتلات، وكانت أسباب تمردهم هي نفس أسباب تمرد العيارين، إلا أن الشطار نشطوا في حصار بغداد أثناء فتنة "**الأمين**" و"**المأمون**" ، إلا أن حركتهم لم تنتظم حتى القرن 4هــ؛ أين زادت الفوضى السياسية واتسعت الهوة بين الأثرياء والفقراء لسوء الحالة المعيشية[3].

([1])- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج11، مصدر سابق، ج8، ص469.

([2])- ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج9، مادة شطر، ص104.

([3])- ينظر، صابر محمد دياب حسين، الدولة الإسلامية في العصر الإسلامي(قضايا ومواقف) ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 2001م، ص 172.

إذا فالشطار هم طبقة من الطبقات الفقيرة التي عانت الظلم الاجتماعي، وقاست أهوال الفاقة والحرمان، فلجأت إلى كسب أقواتها عن طريق السلب والنهب كوسيلة إلى استمرار حياتها، " فقد التزموا الثورة خارج القانون مادام القانون رهن بمشيئة ذوي النفود والسلطان" [1]؛ لأن من طبيعة تكوينهم كان بينهم و بين السلطة ود مفقود. ويعد "**ابن الطبيب**" أهم الشطار لذلك العصر، واسمه "**إسحاق بن خلف الحنفي**" ، فقد أعلن في كثير من الوضوح أن الحرمان هو الذي أدى به إلى التلصص وركوب أهوال الليل وتحمل الأخطار والمكاره لتوفير أسباب العيش لابنة أخته التي تبناها ورباها ليجنبها ذل السؤال، وبلغ حرصه عليها درجة أن تمنى لها الموت قبل أن تسوء حالها، ولما ماتت رثاها بمرثية أظهر فيها أسفه وألمه لفقدانها، في حين عبر عن السعادة التي غمرت نفسه لموتها، لأن الموت قد خلصه منها وأراحه من السهر عليها فيقول[2]:

أَمْسَتْ أُمَيْمَة مَعْمُورًا بِهَا الرَّجْمُ لَقَى صَعِيدًا عَلَيْهَا التُرْبَ مُرْتَكَمُ
يَا شِقَّةَ النَّفْسِ إِنَّ النَّفْسَ وَالِهَةٌ جَرَى عَلَيْكِ دَمْعُ العَيْنِ مُنْسَجَمُ
قَدْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهَا أَنْ تَقْدُمَنِي إِلَى الحَمَّامِ فَيُبْدِي وَجْهُهَا العَدَمُ
فَالآنَ نِمْتُ فَلاَ هَمَّ يُؤَرِّقُنِي يَهْدَى الغَيُورُ إِذَا مَا أَوْدَتِ الحَرَمُ.

نلاحظ أنه مازج بين ألم الموت والفرحة، وهذا بسبب شبح الفقر الذي ترك الرعب في النفوس، مما جعل البعض من الناس يفرحون لموت أولادهم وأقاربهم وهذا لعجزهم عن إعالتهم، فرأوا أن الموت راحة لهم.

([1])– محمد أحمد عبد المولى، العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي، مرجع سابق، ص157.

([2])– المبرد، الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت، (دط)، (دت)، ج2، ص 20.

إذا فحركة الشطار والعيارون هي بمثابة ثورة ضد أرباب السياسة وأسياد المال، وهذا لا يعني أنهم منحرفين، لأن لهم مبادئ ساروا عليها وتمسكوا بها منها: مجانبتهم الكذب وارتكاب المعاصي والعفة والأمانة والرفق بالفقراء والضعفاء والكرم والصبر على احتمال الأذى [1]، فتلك الطبقات لم تكن رغبتهم التمرد والتعرض للناس والميل إلى التلصص والنهب، فقد اضطروا إلى ذلك اضطرارا لإصلاح وضعهم الاجتماعي وانتزاع أقواتهم انتزاعا وكسب كرامتهم وعزّتهم اكتسابا. " والمهم أن نؤكد أن المنهج الذي اتخذه العيارون والشطار كان ثوريا " [2]، والأمر الذي يجب التأكيد عليه أنهم " ليسوا لصوصا بالمعنى التقليدي الشرير، إنما هم لصوص ولكن شرفاء، سراق ولكن ظرفاء ثوار ولكن أتقياء، أرادوا تحقيق العدالة الاجتماعية بمنهج مقبول اجتماعيا مرفوض سياسيا وشرعيا."[3]

3- الطفيـــــليون:

الطفيليون هم جماعة من الفقراء يستعملون شتى الحيل للحصول على الطعام كالذهاب إلى الأعراس والولائم بدون دعوة، وجاء في "**لسان العرب**" أن " أصل الطفيلي من الطفل وهو يعني إقبال الليل على النهار بظلمته، وأطلقت تسمية الطفيلي على شاعر من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان يدعى طفيل بن زلال." [4] والطفيليون جماعة تعيش في عوز وسوء حال، ومما زاد من هولهم تلك التباينات الصارخة

(1)- حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص 150.

(2)- صابر محمد دياب حسين، الدولة الإسلامية في العصر الإسلامي(قضايا ومواقف)، مرجع سابق، ص 175.

(3)- محمد أحمد عبد المولى، العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي، مرجع سابق، ص58.

(4)- ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج8، مادة طفل، ص166.

بين حياتهم المعدمة المحرومة وحياة الأغنياء المترفة، فمصطلح التطفيل يفهم أنه نزول عن الكرامة وأن صاحبه جشع ليس له أدب ولا أخلاق، لكن عند التمعن في أصله وجوهره يتبين أنه دعوة قوية إلى المساواة بين جميع الناس في أسباب العيش، ومشاركة الفقراء الأغنياء في طيبات الحياة.

ومن أهم أعلام الطفيليين في العصر العباسي هو "**طفيل بن زلال**" الذي نسب إليه الطفيليون –كما سبق أن ذكرنا– ومن أقواله التي يوصي بها ابنه لكي يقتدي به في صناعته ويتعلم حرفته قوله: " إذا دخلت عرسا فلا تتلفت تلفت المريب، وتخير المجالس، فإن كان العرس كثير الزحام فأمر وانه، ولا تنظر في عيون أهل المرأة ولا في عيون أهل الرجل، ليظن هؤلاء أنك من هؤلاء، ويظن هؤلاء أنك من هؤلاء، فإن كان البواب غليظا وقحا فابدأ به ومره وانهه من غير تعنّفه، وعليك بكلام بين النصيحة والإذلال"[1].

نرى في هذه الوصية أنه يحثّ ابنه على الدخول إلى الأعراس ويعلمه الحيل التي يجب عليه أن يتمسك بها، لأنه لا يسرق بل يأخذ الصدقة المفروضة على الأثرياء، لهذا يمكن القول أن الطفيلي إذا كان يرتاد على تلك الموائد العامرة بأفخر أنواع الأطعمة فلأنه يعبر عن الجوع والحرمان الذي يعيشه، فالطفيليون لا يبالون بالأعراف أو التقاليد لأن المهم عندهم هو الحصول على الطعام الذي يسكتون به أرماقهم وأرماق أولادهم، فمن يتصور في عصر هناك موائد توضع عليها ثلاثمائة لون من الطعام وموائد لا يوجد عليها فتات الرغيف.

(1)– ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1983م، ج6، ص204.

إذا فالطفيليون يتشابهون مع الشطار والعيارين في كونهم فقراء محرومين، ولكن يختلفون عنهم في طريقة حصولهم على أقواتهم، فهم لم يميلوا إلى نهب وسرقة الأغنياء، بل لجؤوا إلى اختراع الحيل اللطيفة للحصول على حقهم دون مشقة أو عناء، وتقبلوا الإهانة والتحقير بعض التقبل، ولم يروا فيها عارا ولا مسبة ماداموا قد انتصفوا لأنفسهم وفازوا بحقهم.

وهنا يمكن القول أنه لم يكن لمظاهر الثراء الفاحش والغنى الشديد الذي عرف به العصر العباسي أن تخفي نقيضها من مظاهر الحرمان والفقر والتشرد، وكما كان للطبقة الخاصة شعراؤها الذين كثيرا ما تغنوا بقصورها وأعراسها وولائمها، وكل ما تخبطت فيه من ترف وبدخ كان أيضا للطبقة العامة شعراؤها الذين طالما عبروا عن رفضهم لذلك الواقع المر والأليم.

وسأتقدم بعرض حياة واحد من هؤلاء الشعراء وهو "**أبو الشمقمق**" الذي عبّر عن حرمانه وحرمان الشعب وسأحاول الكشف عن مظاهر وتجليت الحرمان في شعره، فمن هو هذا الشاعر ياترى؟

4- ترجمـــة لحيـــاة أبي الشمقمـــق:

يعتبر أبو الشمقمق من أتعس الشعراء الفقراء الذين عاشوا في العصر العباسي الأول، فقد كتب له أن يعيش طوال حياته فقيرا محروما وتعسا في مرباه وفي كل البلدان التي ارتحل إليها سعيا وراء لقمة العيش، شاعر مخضرم عاش نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية في الفترة التي تسودها الحيوية والازدهار.

4-1- اسمه ونسبه ونشأته:

يلقب بـــ "**أبي الشمقمق**" ، وقد جاء معنى مصطلح الشمقمق في "**لسان العرب**" أنه : " الطويل الجسيم من الرجال، وقيل الشمقمق هو النشيط " [1]، اسمه مروان بن محمد وكنيته أبو محمد [2]، من موالي مروان بن محمد أخر خلفاء بني أمية، لم يذكر أحد من المؤرخين القدماء تاريخ ميلاده، لكن يغلب الظن أنه ولد في أواخر العصر الأموي بالبصرة، لكنهم أجمعوا على أنه من أصل خرساني، نشأ في البصرة بالبخارية، كما يقول "**ياقوت الحموي**": " إنه من أهل بخارى الذين نقلهم عبد الله بن زياد من بخارى إلى البصرة، وبنى لهم هذه السكة فعرفت بهم"[3]، وهناك من خالف الإجماع ويرى أنه نشأ في غير ذلك المكان وهو "**ابن خلكان**" الذي يقول: " إنه الشاعر المشهور الكوفي" [4]، قضى الشطر الأول من حياته في البصرة، يعيش على صدقات بعض الشعراء مثل "بشار بن برد" الذي " كان يعطيه في العام الطويل بعد العام مائتي درهم اتقاء لشره وخوفا من فاحش هجاءه."[5]

على أن تصدق "**بشار**" عليه بمثل هذا المبلغ الضئيل لم يكفه ولا سد حاجته فرأى أن يتجه إلى بغداد حيث مركز الخلافة، والمكافآت الضخمة لعله تتيسر أحواله بها ويحظى ببعض الصلات الطائلة فيها " فقدم بغداد في خلافة هارون الرشيد" [6]؛ وهذا لا يعني إقامته الدائمة

([1])– ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج9، مادة شمق، ص179.

([2])– ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مصدر سابق، ج6، ص335.

([3])– ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1997م، ص356.

([4])– الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج3، ص46.

([5])– البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر سابق، ج13، ص146.

(6)– المصدر نفسه، ص146.

فيها، فقد كان يتردد إليها في مناسبات معينة، ثم يعود إلى البصرة حيث داره وأهله، وقد أشار إلى ذلك في شعره حيث يقول:[1]

أَنَـــا بِـــالأَهْـــوَازِ مَحْـــزُو نٌ وَ بِـــالبَصْـــرَةِ دَارِي

فِـــي بَنِي سَعْـــدٍ وَ سَعْـــدٌ حَيْثُ أَهْلِـــي وَ قَـــرَارِي

صِرْتُ كَالخُفَـــاشِ لاَ أُبْـــ ـــصِرُ فِي ضَـــوْءِ النَّهَارِ.

لكن الأرجح أنه وصل إلى بغداد قبل خلافة "**هارون الرشيد**" ، لأن "**أبا فرج الأصفهاني**" يذكر أنه هجا "**مروان بن أبي حفصة**" لأنه رفض أن يعطيه شيئا من صلة أجراها عليه الخليفة المهدي [2]، مما ينبئ أنه كان في بغداد قبل عهد الرشيد، غير أن إقامته فيها لم تجلب له خيرا، فقد عاش بعيدا عن الخلفاء والوزراء، مع محاولاته المتصلة التقرب منهم ومن البرامكة، ومع شكواه لبعض العمال سوء حاله، إلا أنه لم يجد آذان تصغي له، ولم يجد الرحمة من أحد، فلم يلبث أن ضاق درعا بها، لتعذر أسباب الرزق وعدم تحقيقه لشيء طمع فيه، فلم تتحسن أحواله ولا الدنيا أقبلت عليه، بل ظل مكروها مبعدا يحيا حياة الفقر واليأس والحرمان، ولما اشتد به الضيق وساءت حاله بها رأى أن يسعى في طلب النجدة في بلد غيرها، فارتحل إلى بلاد فارس في أواخر عمره، وزار بعض عمالها فهناك من رفضوا مساعدته واعرضوا عنه فهجاهم هجاء مرا، وهناك من أحسنوا إليه " كـــ "**أبي دهمان الغلابي**" والي نيسابور"[3]، لكنه عاد من بلاد فارس إلى بغداد وقضى الشطر الأخير

(1)– أبو الشمقمق، الديوان، جمعه: واضح محمد الصمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، ص46.

(2)– الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج9، ص38.

(3)– ابن الجراح، الورقة، تحقيق: عبد الوهاب عزام، وعبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ط2، 1986م، ص67.

من حياته فيها مقلا مبتئسا محروما إلى أن وافته المنية هناك " في حدود الثمانين ومائة هجرية."[1]

4-2- أسباب حرمانه:

نشأ "**أبو الشمقمق**" نشأة بائسة محرومة من أبسط أمور العيش، وصور حالة فقره تصويرا ربما لم يسبق إليه أحد، وربما كانت أسباب حرمانه وفقره ثلاثة أمور هي:

1- نشأته في الفترة القلقة المضطربة التي انتقلت فيها الخلافة من بني أمية إلى بني العباس وما صاحبها من عنف وبطش العباسين ومحاربتهم لبقايا الأمويين وتنكيلهم بهم، والتضييق عليهم، فهذا الوضع أثر تأثيرا كبيرا على فقره وحرمانه في صدر حياته.

2- كما أثر قبح خلقه في كره وتحامي الناس عليه، فقد ذكرت المصادر القديمة أنه كان قبيح المنظر إذ كان: " خفيف **العثنون** ، عظيم الأنف، **أهرت** الشدقين."[2]

3- أما السبب الثالث فيكمن في سوء أخلاقه؛ حيث كان حاد المزاج ضيق الصدر، خبيث اللسان، فعاش بذلك مجفوّا منبوذا، متبرما بالناس، وهذا ما أكده "**ابن عبد ربه**" حيث قال: " كان أبو الشمقمق متبرما بالناس،وقد لزم بيته بأطمار مسحوقة، وكان إذا استفتح عليه أحد بابه خرج، فنظر من فرجه، فإن أعجبه الواقف فتح له وإلا سكت عنه."[3]

كل هذه الأسباب جعلته يعيش محروما من البر والعطف والمواساة، إلا مما كان يجود به عليه بعض العمال والقادة ورفاقه الشعراء من العطايا

---

(1)- ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار المعارف، مصر، ط2، 1968م، ص129.

(2)- الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م، ج7، ص209 .

العثنون من اللحية: ما نبت على الذقن و تحته، **الأهرت:** الواسع .

(3)- ابن عبد ربه، العقد الفريد، مصدر سابق، ج6، ص 210.

اليسيرة التي لم تكن تقيه إلا فترة قصيرة ثم يعود إلى سابق عهده من الإملاق والحاجة، لهذا غلب عليه اليأس والانطواء على النفس.[1]

4-3- علاقته مع بعض شعراء عصره:

إن العصر الذي عاش فيه "**أبو الشمقمق**" هو عصر الترف والبذخ، فقد كان الخلفاء والوزراء ومن يلحق بهم يعيشون في النعيم، لذا كانت دار الخلافة مقصدا للشعراء، لما كانت تغدق به عليهم من الأموال والهبات والعطايا، لكن "**أبا الشمقمق**" لازمه الإخفاق لأن حاله لم يكن كحال هؤلاء الشعراء، " لذلك كان يحسدهم ويستقصي أخبارهم حتى إذا ما حصل أحدهم على جائزة قصده عسى أن يتمكن من نيل شيء معه"[2]، كان يرضى باليسير، وعطاؤهم له لم يكن حبا فيه بل اتقاء لشره وخوفا من هجائه، لأنه سليط اللسان يهجو كل من لم يجد ضالته عنده. إذن فعلاقته مع شعراء عصره علاقة سيئة وهذه بعض الأمثلة تبين ذلك:

4-3-1- علاقته مع بشار بن برد:

كان "**أبو الشمقمق**" يذهب إلى "**بشار**" ويشكو إليه الفقر وسوء الحال ويسأله بعض الدراهم، فكان يعطيه في العام مائتي درهم – كما سبق أن ذكرت– أما إذا قصده ولم يعطه هجاه هجاء مقذعا، فيسارع "**بشار**" إلى دفع الجزية التي فرضها عليه ابتغاء إرضائه وإسكاته إذ ذهب إليه في أحد المرات وقال له: " هلم الجزية يا أبا معاد.

فقال بشار: ويحك! أجزية هي؟!

قال: هو ما تسمع.

فقال بشار يمازحه: أنت أفصح مني؟ قال: لا.

---

(1)- ينظر، حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص 109.

(2)- أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص 7.

قال: أنت اعلم مني بمثالب الناس: قال: لا.

قال: فاشعر مني؟ قال: لا.

قال فلم أعطيك؟

قال: لئلا أهجوك، فقال له: إن هجوتني هجوتك، فقال له "**أبو الشمقمق**": هكذا هو؟

قال: نعم، فقل ما بدا لك، فقال "**أبو الشمقمق**":

إِذَا مَا شَاعِرٌ هَجَانِيَـــــه وَ لَجَّ فِي القَوْلِ لَهُ لِسَانِيَه

أَدْخَلْتُهُ فِي آسْتِ أُمِّهِ عَلاَنِيَه بَشَارُ يَا بَشَار.....

وأراد أن يقول: "يَا ابْنَ الزَانِيَه " فوثب "**بشار**" فامسك فاه، وقال: أراد والله أن يشتمني، ثم دفع إليه مائتي درهم وقال له: لا يسمعنّ هذا منك الصبيان يا **أبا الشمقمق** "[1].

فهذه الرواية توحي بأن "**أبا الشمقمق**" كان يلجأ في هجائه إلى هتك أعراض الشاعر– الإنسان المسؤول– وطعنه في شرفه كما ذكر "**الأصفهاني**" أن "**عقبة بن سلم الأزدي**" أعطى "**بشار**" عشرة ألاف درهم فذهب إليه "**أبو الشمقمق**" وسأله مواساته بشيء منها، فامتنع، فقال له:" يا أبا معاذ لقد مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون:

هَلِّـلِينَـــه هَلِّـلِينَـــه طَعْـنَ قِثَّـاةٍ لِتِينَـــــه

إِنَّ بَشَّـــارَ بـــنَ بـــردٍ تَيْسٌ أَعْمَى فِي سَفِينَـــه.

وما إن سمع "**بشار**" البيتين حتى أعطاه مائتي درهم وقال خذ هذه ولا تكن رواية للصبيان يا "**أبا الشمقمق**".[2]

(1)– المصدر السابق، ص 95.

(2)– المصدر نفسه، ص 93.

إذا فعلاقة "**أبي الشمقمق**" مع "**بشار** " هي علاقة سيئة تغلب عليها المصلحة لأنه لم يجد حلا أخر للتكسب إلا الهجاء المقذع، أما بشار فكان يخاف سلاطة لسانه فلزم عليه إعطاؤه.

4-3-2- علاقته مع سلم الخاسر:

لم تكن علاقة "**أبا الشمقمق** " مع " **سلم الخاسر** " بعيدة عن علاقته "**ببشار**"؛ إذ كان يقصده فإن لم يعطه تلقى هو الآخر هجاء يهتك فيه عرضه وذلك بالحديث عن أخته أو أمه حيث قال "**الأصفهاني** ": " طالب أبو الشمقمق سلما الخاسر بأن يهب له شيئا، وقد خرجت لسلم جائزة، فلم يفعل، فقال أبو الشمقمق شعرا يهجو فيه أم سلم بألفاظ بذيئة مقذعة ومطلعه:

يا أم سلم هداك الله زورينا

فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير، وقال: أحب أن تعفيني من استزارتك أمي وتأخذ هذه الدنانير فتنفقها."[1]

إذا فعلاقته مع "**سلم الخاسر**" كانت مبنية على أساس الهجاء والثواب، هجاء مقذع من "**أبي الشمقمق**" والسعر محدود عند "**سلم الخاسر**" خمسة دنانير؟!

4-3-3-علاقته مع مروان بن أبي حفصة:

يروى أن الخليفة "**المهدي**" فرق على الشعراء جوائز فأعطى "**مروان**" ثلاثين ألفا فجاءه "**أبو الشمقمق**" فقال له: أجزني من الجائزة فرد عليه "**مروان**": أنا وأنت نأخذ ولا نعطي.

قال "**الشمقمق**": فاسمع مني بيتين.

قال: هات.

قال: لحْيةُ مروان تَقي عَنْبــرا خالَط مسكًا خالصًا أذْفَرا.

(1)- الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج19، ص 276 .

فما يُقيمـــانِ بها ساعـــةً إلاّ يَعُودان جميعـــاً خَـــرَا.

فأمر له بدرهمين وقيل عشرة دراهم.[1]

وهكذا نلاحظ أن "**أبا الشمقمق**" لم يكن على وفاق مع "**مروان**" الذي كان يصده بأهون الأسباب، يعطيه درهمين من جائزة قيمتها ثلاثين ألف درهم!

يمكن القول بعد أن عرضنا لعلاقة "**أبي الشمقمق**" مع بعض شعراء عصره أنها علاقة سيئة على العموم، فقد كانوا يعتبرونه عالة عليهم، يدفعون له اتقاء لشره وخوفا من سلاطة لسانه.

4-4- مكانته الشعرية:

يبدو أن الفقر الذي لازم "**أبا الشمقمق**" طوال حياته أفقده ثقته في نفسه وفي الآخرين، فأصبح يحقد على الناس جميعا، ويحسد غيره من الشعراء، فهو يهرب من المجتمع، ويعيش منكفئا منطويا على نفسه في بيته، كما كان يحسن التطفل على الشعراء، ويرضى باليسير منهم.

شاعر يعيش هذه الحالة فليس غريبا أن يكون شعره ضعيفا في أغلب الأحيان، فقد اختلف النقاد وعلماء الأدب في تقديره لأنه يجمع بين الجيد والرديء، وهذا ما أكده "**المبرد**" بقوله: " كان أبو الشمقمق ربما لحن ويهزل كثيرا (...) ويجد فيكثر صوابه"[2]، أي إذا تبسم له الزمن وتتحسن حاله فإن شاعريته تشتد، أما "**ابن المعتز**" فقال: "**وشعر أبي الشمقمق نوادر كله.**"[3] وأهم الميزات في شعره هي:

1- كثرة الهجاء اللاذع في شعره سواء كان فرديا أو جماعيا؛ حيث قال "**المرزباني**" : " إن شعر أبو الشمقمق فيه هجاء كثير (...) وألفاظه

(1)- المصدر السابق، ج10، ص 79.

(2)- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، مصدر سابق، ج2، ص24.

(3)- ابن المعتز، طبقات الشعراء، مصدر سابق، ص129.

أكثرها ضعيف وربما ندر له البيت" [1]، إلا أنه أعظم شعراء العصر العباسي تعبيرا عن الفقر وتصويرا لأوضاع الجماعات الدنيا التي كان ينتمي إليها.

2- " كما كان أعظم شعراء عصره خروجا على التقاليد الشعرية التي كانت باسطة سلطانها في عصره من حيث المعنى والأسلوب" [2]، في حين خرج "**أبو نواس**" عن العمود الشعري القديم واستبدل المقدمة الطللية بالمقدمة الخمرية، فـ "**أبو الشمقمق**" - وشعراء الطبقة العامة - استبدل كليهما بمقدمة أخرى يعبر فيها عن فقره وحرمانه، فقد وصف تلك المظاهر وصفا رائعا، منه الساخر ومنه الحزين، كما وصف خلو بيته من المتاع والحاجيات الأساسية للعيش إلى درجة هروب الفئران والذباب والقطط منه لعدم وجود ما يقتاتون به.

3- وأهم ميزة يمتاز بها شعر "**أبي الشمقمق**" هي تلك التي كانت تدفع كل من يقوم بهجائه إلى دفع الجزية - مثل الشعراء الذين ذكرت علاقته بهم - وذلك لمعرفتهم لطبيعة لسانه السليط وطريقته في كسب المال، هجاء لاذع يساوي سعر محدود.

خلاصة:

رغم كل ما يمتاز به شعر "**أبي الشمقمق**" إ لا أنني أراه في نظري شاعر الشعب لأنه حين يصف حياته الفقيرة المعدمة من أبسط أمور العيش فهذا ينطبق على حال الطبقة الفقيرة التي ينتمي إليها، ويمكن القول أن "**أبا الشمقمق**" هو شاعر عظيم الموهبة، جنى عليه الإخفاق المستمر في حياته. وهذا ما سأتطرق إليه في الفصل التالي.

---

(1)- المرزباني، معجم الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1982م، ص397.

(2)- أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص 23.

الفصـــل الثـــاني

تجليات الفقر والحرمان في شعر أبي الشمقمق.

1- الألم النفســـي:

1-1- معـــاتبة الدهـــر.

1-2- اليأس وبكـــاء ســـوء البخت.

1-3- الشكوى وتصوير الحرمان وسوء الحال.

2- الاستغاثة والاستعطاف.

3- هجاء المتخمين والبخلاء والثورة عليهم.

4- الأماني وأحلام اليقظة.

5- الحمـــد والرضـــا.

تجليات الفقر والحرمان في شعر أبي الشمقمق:

لقد تعودنا في دراستنا للأدب العربي عموما والأدب العباسي بخاصة أن نتعامل مع أدب – شعرا كان أم نثرا – راق، لا يصور إلا الأمور البراقة والرائعة مثل حياة الخلفاء وقصورهم وبلاطاتهم، لكن ونحن نتتبع أثر تلك الروعة متأثرين بسحرها اللامتناهي لم يكن لأدب يتيم أو بالأحرى لشعر يتيم عاش أصحابه ذلك العصر وعانوا فيه، إلا أن يجلب انتباهنا ويصرخ في وجوهنا ليقول للإنسانية جمعاء إن العصر العباسي ليس فقط ذلك الجزء من التاريخ الذي تعودتم على الاستمتاع بتقليب صفحاته والثناء عليها، بل إن هناك وجها آخر مختلفا لهذا التاريخ، وجه غير نظيف وغير براق، وصفحات أخرى لم ينفض عنها الغبار ولم تقلب، أو أن تقليبها كان بسرعة فائقة خلّفها الانبهار بالصفحات الأولى والإعجاب بما تحمله.

شعر تألم أصحابه واشتكوا وبكوا فأبدعوا، فجاء وثيقة تاريخية لوجه آخر عابس، ذليل أشحبه الفقر وأتعسه البؤس والحرمان، فترى كيف انعكس هذا في شعر شاعرنا "**أبي الشمقمق**"، وما هي مظاهره؟

1- الألم النفسي:

إن النفس البشرية مجبولة على حب التملك، فالإنسان باستمرار يريد أن يمتلك أشياء في حياته، إذا ما سئل عنها يقول بمتعة كبيرة أنها له، لكن في أحيان كثيرة تعبس الدنيا في وجه هذا الإنسان وتظلمه وتصر على إذلاله وتحقيره وتثبت له كلما سمحت لها الفرصة أن تقصده هو لا أحد غيره، وتبغي تعذيبه وإتعاسه ويتأكد مع مرور الزمن أن هذه الدنيا تأخذ منه أكثر مما تعطيه، بل تأخذ فقط ولا تعطي شيئا، وعند ذلك يتولد في نفسه ألم يضرب بجذوره إلى الأعماق وتمتد فروعه إلى سائر أعضاء الجسد، ذلك هو حال الشاعر "**مروان بن محمد (أبو الشمقمق)**" الذي ظل طوال حياته يتلقى النكبة تلوى الأخرى والفشل تلو الآخر، فلا عمل يقتات منه، ولا بيت يأوي إليه ولا غد يترقبه، كل ما كان يمتلكه فاه مفتوح يطلب لقمته به، وجسد عاري يحلم بكسوته، ومما يروى عنه أنه: " أقبل عليه يوما بعض إخوانه الملطفين له، فدخل عليه، فلما رأى سوء حاله قال له: أبشر أبا الشمقمق فإن روينا بعض الحديث إن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة فقال له أبو الشمقمق: إن صح الله هذا الحديث كنت أنا ذلك اليوم بزّازا."[1]

كل هذه الصفعات التي كان يتلقاها وجه "**أبي الشمقمق**" لم تكن إلا لتخلق له ألما نفسيا متأصل الجذور ظل يكبر ويتفاقم إلى أن سطا على نفسه الجريحة وأصبح هو السمة الغالبة على حياته. ذلك الألم الذي سرعان ما صرخت به حنجرته يريد أن يسمع الناس والعالم كلّه تأوهات طالما كبتها صدره السقيم. ويظهر هذا الألم جليا في هذه الأبيات التي يقول فيها:[2]

أَنَــا فِي حَــالٍ تَعَــالَى اللهُ رَبِّــي أَيَّ حَــالِ
وَلَــقَدْ أَهْــزَلْتُ حَتَّــى مَحَتِ الشَّمْسُ خَيَالِي

([1])- ابن عبد ربه، العقد الفريد، مصدر سابق، ج6، ص 25.

([2])- أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص 77، 78.

مَنْ رَأَي شَيْئًا مُحَالاً فَأَنَا عَيْنُ المُحَالِ
لَيْسَ لِي شَيءُ إِذا قِيـ ـلَ لمنْ ذَا قُلتُ ذَا لِي
وَلَقَدْ أَفْلَستُ حَتَّى حَلَّ أَكْلِي لِعِيَالِي
فِي حِرِ أُمِّ النَّاسِ طُرًّا مِنْ نِسَاءٍ وَ رِجَالِ
لَوْ أَرَى فِي النَّاسِ حُرًّا لَمْ أَكُن فِي ذَا المِثَالِ.

لعل هذه الأبيات تجعل قارئها يتصور مدى الألم الذي كان يحرق جسمه النحيل، ألم لم يكن إلا أن يكون بتلك الحدة لما عانته تلك النفس الكبيرة من تفاوت طبقي جنوني وظلم اجتماعي فظيع طالما مزقها هي وأمثالها الكادحين.

وقد استمر هذا الألم الدفين يبسط رداءه إلى أن استحوذ عليه فأصبح يتألم بسخرية، سخرية لا تدل إلا على مدى حدة حناجر ذلك الألم، سخرية لعلها تشفي غليله، فتكون قادرة على إخراج ما يزدحم في صدره من تمزق وإحساس بالدونية؛ حيث يقول "**أبو الشمقمق**" ساخرا من نفسه و من الزمن والآخرين[1]:

الحَمْدُ للهِ شُكْرًا أَمِشِي وَ يَرْكَبُ غَيرِي
وَقَدْ كُنْتُ آمل **طِرْفًا** فَصِرْتُ أَرْضَى **بِعَيرِ**.

رغم ما في هذين البيتين من سخرية، ومهما كان محتاجا إلى ركوب الجواد أو حتى الحمار وتمنيه ذلك بشدة، إلا أنه راض بما كتب له وحامدا الله عزوجل، فرغم فقره وحرمانه إلا أنه مؤمن بقضاء الله وقدره.

1-1- معاتبة الدهر:

عندما تأملت واقع "**أبي الشمقمق**" المر رأيت أن كل ما يحيط به لا يدعو إلا للتعاسة والحزن، وأنه محاصر من كل جانب - وهو حال الطبقة المحرومة التي ينتمي إليها - لا يمكنه إلا أن يعيش فقيرا بائسا.

(1)- المصدر السابق، ص46.
طرف: الجواد. **العير**: الحمار.

عند ذلك يضيق صدره ويصب غضبه وسخطه على الدهر؛ هذا الظالم الكبير الذي كان دوما يمنح بشرا وليتهم يحرمون ويحرم أناسا وليتهم يعطون، فالزمن الذي لا يستطيع تمييز الإنسان المحتاج من الإنسان المتخم فهو زمن ظالم لابد من معاتبته. ويواصل "**أبو الشمقمق**" ثورته ضد هذا الدهر الذي لم تكن فعاله إلا جهلا وغلطا؛ إذ أنه كان دوما أعمى يعطي أناسا لا يستحقون عطاءه ويحرم أناسا وهم في أمس الحاجة إلى كرمه، وقد وصل ضيق صدره إلى درجة كبيرة من اليأس جعلته لا يجد جدوى من المعاتبة فيقول:[1]

أَتُرَانِي أَرَى مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا لِي فِيهِ مَطِيَّةٌ غيرُ رِجْلِـــي.
كُلَّمَا كُنتُ فِي جَمِيعٍ فَقَالُوا قَرِّبُوا لِلرَّحِيلِ قَرَّبْتُ نَعْلِـــي.
حَيْثُمَا كُنتُ لاَ أُخَلِّفُ رَحْلاً مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي وَرَحْلِي.

فهو لم ينل من هذا الدهر ولا حتى بعيرا أو حصانا يرحمه من الإرهاق والمشقة اللذين يسببهما طول المسافات التي يطويها مشيا على قدميه. أفيوجد بعد هذا من هو أظلم من هذا الدهر؛ إنسان يمنحه قصرا وذهبا وكل ما يمكنه من حياة رغدة وإنسان يستكثر عليه حمارا أو بغلا.

بعد هذا العتاب لم يعبر الشاعر عن غضبه هو فحسب بل عبر عن ذلك الغضب الذي طالما كبتته صدور العامة من الشعب والذي يسببه لها جور هذا الدهر ومكره، هذا الدهر الذي يصر أن يبقى فيه الفقير فقيرا كادحا محروما بائسا طوال حياته، بل يسعى أن تعيش الأغلبية الشعبية الفاقة والحرمان في أسمى معانيها.

1-2- اليأس و بكاء سوء البخت:

بعدما يفرغ من معاتبة الزمان، وبعدما يخرج كل ذلك الغضب الذي كان يخنقه، يشعر بشيء من الارتياح. هذا الأخير الذي يخلق فيه إرادة جديدة يحاول التغلب بها على فقره وتحسين حاله، فينطلق إلى الأمام مجتهدا ساعيا لعله يستيقظ ذات صباح على يوم مشرق يكون

(1)- المصدر السابق، ص 80.

بداية لسعادته، لكن ذلك اليوم يصر على البقاء بعيدا وبعيدا جدا، فيمل الشاعر الانتظار ويعاوده الفشل شيئا فشيئا إلى أن يصل إلى قمة اليأس، وعند ذلك يحس أنه في حاجة إلى البكاء بشدة، يبكي هذا الحظ التعيس الذي يلازمه ويرفض أن يغير رداءه الأسود، الذي يثبت له في كل مرّة أنه مرتاح في زيّه هذا.

وفعلا يلازم ذلك الحظ المشؤوم صاحبه ويصل إلى حد مطاردته في نومه، أما "**أبو الشمقمق**" فقد أوصله حظه السيئ إلى أوج درجات اليأس والإحباط النفسي، لأنه أينما اتجه لم يكسب شيئا وسوء بخته يخذله في حله وترحاله، حتى ليجف البحر الذي يخوضه وحتى ليصير الدر في يده حصى وزجاجا، والماء العذب ملحا لا يسوغ شرابه، وبعد أن يلمس هذه الحقيقة المرة يفيض صدره بهذه الأبيات التي تعتصر بأسا وألما فيقول:[1]

لَوْ رَكِبْتُ البِحَارَ صَارَتْ فِجَاجًا لاَ تَرَى فِي مُتُونِهَا أَمْوَاجَـــــا
وَلَو أَنِّي وَضَعتُ يَاقُوتةً حَمْـــ ـــرَاءَ فِي رَاحَتِي لَصَارَتْ زُجَاجَا
وَلَوْ أَنِّي **وَرَدِتُ** عَذْبًـــا فُرَاتًـــا عَادَ لاَ شَكَّ فِيهِ مِلْحًا أُجَاجَـــا
فَإِلَى اللهِ اشْتَكَـــي وَإِلى الفَضْـــ ـــلِ فَقَد أَصْبَحتْ **بَازَاتي** دَجاجَـــا.

رغم ما في هذه الأبيات من مبالغة إلا أنها تعكس حالة الشاعر ونفسيته المحطمة اليائسة من هذه الحياة التي تبخل عليه بكل جميل. ولا شك بعد هذا الوصف أنه لا يوجد بخت أسوء من هذا، أما بخت "**أبي الشمقمق**" قد جمع كل المقومات التي تجعله يحافظ على تصدر قائمة الحظوظ التعيسة، فهو بهذا يشبه نفسه بذلك الرجل النحس الذي أينما حل وقع الخراب والدمار، فهل يوجد بعد هذا الوصف من هو أشقى وأتعس من هذا الشاعر؟

(1)- المصدر السابق، ص 33،34.

ورد: ذهب لتناول الماء ، **الباز**: من الطيور الجارحة، جمعها بزاة.

ومن هنا يمكن القول أنه استطاع أن ينقل ليس ما أصابه هو فحسب، بل ما أصاب الأغلبية الساحقة من أمثاله من شرور هذه الدنيا ومصائبها.

1-3- الشكوى و تصوير الحرمان و سوء الحال:

إن إحساس الشاعر بمأساوية الحياة ويقينه بمصيره المظلم الذي لم يتغير يوما، هو الذي جعله يشعر بالضياع واليأس، لكنه في الأخير يستسلم للشكوى، وإذا ما وصل المرء إلى هذا الحد فلنعلم أن كأسه قد فاض وضاق درعا بهذه الحياة ولم يعد يطيق بها صبرا ولا شك أن الشاعر لا يشكو حاله هو كفرد بل يشكو حالة فقره بصفته رب أسرة؛ أي وراءه زوجة وأطفال يجب عليه سد حاجاتهم وتأمين حياتهم، لكن رغم ما يتخبط فيه الفقراء من فاقة واحتياج إلا أن ذلك لا يمنعهم أن يكونوا كرماء بل شديدي الكرم، فهم يرون أن الفقر لن يكون أبدا عائقا أمام كرمهم.

و ما أستخلصه من هذا كله أن الإنسان الفقير يكون كريما في أغلب الأحيان أكثر من الإنسان الغني، بل ربما المساكين والمحتاجون هم أكثر الناس جودا وكرما؛ لأنهم لم يحصلوا في هذه الدنيا على أشياء عظيمة وثمينة تجعلهم يبخلون بها على الآخرين بعد ما يكونوا قد عرفوا مدى ما تقدمه من متعة، وإنما هم تعودوا على امتلاك الأشياء البسيطة التي تجعلهم هم أيضا بسطاء لا يجدون ضررا في أن يشاركهم الغير فيها.

فما أظلم هذا الدهر وما أمكره حينما يتلدد بتعذيب المرء وإذلاله، وما أتعس الإنسان الذي يحاصره الحرمان من كل جانب ولا يترك له منفذا يمكنه النجاة من خلاله فـ "**أبو الشمقمق**" يبقى يعاني ويلات المسغبة والحرمان والضنك ويشتكي حاله الذي يعمي القلوب حسرة وتتمثل هذه المعاناة والشكوى في عدة أمور هي:

1-3-1- حرمانه من الملجإ:

يعد هذا الأمر أهم معاناة يعانيها أي إنسان على وجه الأرض، فإن لم يجد الإنسان مأوى يأوي إليه فيمكن القول أن حياته بدون معنى،

وهذه هي حالة "**أبي الشمقمق**" الذي يعيش في العراء؛ فليس له ما يحجبه عن الورى، فالفضاء الممتد بيته ولا سقف له إلا السحاب أو السماء عند صفائها، ولا باب لبيته لأنه لم يحصل على ألواح من الخشب لصنع ذلك الباب يقول:[1]

بَرَزْتُ مِنَ المَنَازِلِ وَ**القِبَـــابِ** فَلَمْ يَعْسُرْ عَلَى أَحَـــدٍ حِجَابِي
فَمَنْزِلِي الفَضَـــاءُ وَسَقْفُ بَيْتِي سَمَاءُ اللهِ أَو قِطَـــعُ السَّحَـــابِ
فَأَنتَ إِذَا أَرَدْتَ دَخَلْتَ بَيْتِـــي عَلَيَّ مُسَلِّمًـــا مِنْ غَـــيْرِ بَـــابِ
لأَنِي لَمْ أَجِدْ **مِصْرَاعَ** بَـــــابٍ يَكُونُ مِنَ السَّحَابِ إِلَى التُّرَابِ
وَلاَ انْشَقَّ **الثَّرَى** عَنْ عُودِ **تَخْتٍ** أُؤَمِّـــلُ أَنْ أَشُـــدَّ بِهِ ثِيَابِـــــي.

ما يلاحظ من هذه الأبيات أن هناك إلحاح على وصف بيته – شبه بيت– الذي يفتقد لمستلزمات البيوت؛ وهذا لتأكيد حدة معاناته، فما هذا البيت الذي يكون مصراع بابه من السحاب إلى التراب، وسقفه السماء، وأي ثياب تتكلم عنها يا "**أبا الشمقمق**"؟!، فأنت لا تملك بيتا حتى تملك تختا لتصون فيه ثيابك. وما يلاحظ أيضا أن أي قارئ لهذه الأبيات سترتسم على وجهه علامات الحزن فتدفعه للتساؤل: هل ما يقوله الشاعر هو تصوير لواقع الحال أم هو نسيج من خيال؟ وهذا ما سيوضح في المظاهر الأخرى لحرمانه وبؤسه.

1-3-2- حرمان أولاده من الأكل:

يمكـــن لأي إنســـان تحـــمل أســـوء عـــذاب علـــى وجـــه الأرض، إلا رؤيـــة أولاده جائعيـــن ومحروميـــن مـــن الأكـــل، فهذه الصـــورة تحطـــم النفـــوس و تقطـــع

(1)– أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص28.

القباب: مفردها القبة و هي نوع من البناء.

المصراع: درفة الباب.

الثرى: التراب الندي، **التخت:** وعاء تصان فيه الثياب.

الأكباد؛ هذه هي حالة أولاد "**أبي الشمقمق**"، فهو يعرض صورة مثيرة للإشفاق يصف فيها حاجة أولاده إلى أرغفة الخبز وافتقارهم إلى أقل الطعام وأبخسه كالتمر والأرز، لا في الأيام العادية فحسب بل في أيام الأعياد أيضا، كما يصف تضييق الزمن عليهم وجفوة الناس لهم فيقول: [1]

مَا جَمَعَ النَّاسُ لِدُنْيَاهُم أَنْفَعَ فِي البَيْتِ مِنَ الخُبْزِ
وَالخُبْزُ بِاللَّحْمِ إِذَا نِلْتَهُ فَأَنْتَ فِي أَمْنٍ مِنَ **التَّرْزِ**
وَ**القِلزُ** مِنْ بَعدُ عَلَى إِثْرِه فَإِنَّمَا اللَّذَاتُ فِي القِلْزِ
وَقَدْ **دَنَا الفِطْرُ** وَصِبْيَانُنَا لَيسُوا بِذِي تَمرٍ وَلاَ أُرْزِ
وَذَاكَ أَنَّ الدَّهرَ عَادَاهُم عَدَاوَةَ الشَاهِين لِلْوزِ
كَانَتْ عِنْدَهُم عِنْزٌ فَأُودِي بِها وَأَجْدَبُوا مِن لَبَنِ العِنْزِ
فَلَو رَأُوا خُبزًا عَلى شَاهِقٍ لأَسْرَعُوا لِلْخُبْزِ **بِالْجَمْزِ**
وَلَو أَطَاقُوا القَفْزَ مَا فَاتَهُمْ وَكَيْفَ لِلْجَائِعِ بِالْقَفْزِ.

فالشاعر يقول لو أبصر أبناؤه الخبز من مكان بعيد لساروا إليه بأقصى ما يستعطون، ثم يعود في كلامه وكيف لهم أن يقفزوا وأجسامهم هزيلة من الجوع الذي لازمهم. " قد نجح أبو الشمقمق في هذه القصيدة فنيا، كما نجح حين ألف فيها بين جملة من العناصر هي: الخبز، العنز، الصبيان، العيد" [2]. فهذه العناصر لا يمتلكها إلا أولاد الأغنياء الذين لهم الحق بالفرحة والبهجة في سائر الأيام وخاصة أيام الأعياد والمناسبات باللباس والأكل وغيرها من الأشياء الحسنة، ليس كحال أولاد "**أبي الشمقمق**" الذين لا يملكون شيئا إلا عنزة يشربون لبنها، لكن الزمان

(1)– أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص59.

الترز: الجوع وقيل الموت.

القلز: النشاط و الوثوب.

دنا الفطر: قرب عيد الفطر.

الجمز: العدو السريع.

(2)– ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسيين على السلطة، دار المسيرة، عمان، ط1، 2011م، ص154.

أودى بحياتها، فهؤلاء العيال لا ذنب لهم سوى أنهم وجدوا في مجتمع كان البقاء فيه للأغنى.

1-3-3- خلو بيته من المتاع والطعام :

ما دام هناك إنسان لا يملك بيتا بالمعنى الحقيقي للبيت، ويرى الجوع والعدم يهلك أولاده، فلا عجب إذا كان ذلك البيت يخلو من الأكل والأمتعة الضرورية لأي إنسان، وليس هذا فحسب بل حتى الحيوانات تجنّبت البقاء فيه، "**فأبو الشمقمق**" يعاني ويلات الحرمان ويشكى حاله الذي يدمي القلوب حسرة فيقول وهو يصف سريره:[1]

لَوْ قَدْ رَأَيْتَ سَرِيرِي كُنْتَ تَرْحَمُنِي اللهُ يَعْلَمُ مَـالِي فِيـهِ **تَلْبِـيسُ**

وَاللهُ يَعْـلَمُ مَـالِي فِيـهِ **شَـابِكَة** إِلاَّ الحَصِيرَةُ وَ **الأَطْمَارُ** وَالدِّيسُ.

فهذان البيتان مع بساطتهما يعكسان حياة الكثير من الناس فهو " يصور مسغبة الطبقة العامة في بغداد التي تكدح لتملأ الطبقة المترفة بطونها، بينما تعيش هي في الضنك والشقاء متمنية أن تجد الخبز والإدام، بل قد يعدم الإدام والخبز جميعا" [2]؛ أي أنه يصور حال مئات البيوت، بل آلاف البيوت التي لا تعرف من الفراش إلا الحصيرة في حين ينام أبناء الطبقة الحاكمة ومقربوها على الأسرة الذهبية المغطاة بالأفرشة الحريرية فأي عدالة هاته التي يتكلمون عنها في هذا العصر؟

وفي أبيات أخرى يصور فيها الشاعر خلو بيته من الأواني التي يخزن فيها الطعام كالطحين والماء، ثم يصف حال الفأر الذي تجنب البقاء والذباب الذي قرر الرحيل هو أيضا من هذا البيت الخالي حتى من فتات الرغيف، فيقول:[3]

([1])_ أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص 64.

تلبيس: أي ليس عنده شيء مما يكسو به السرير ويلبسه إياه كالملاءة و الخشية و نحوهما.

الشابكة: أي شيء مضموم بعضه ببعض. **الأطمار:** جمع الطمر وهو الثوب البالي.

([2])- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، مرجع سابق، ص 439.

([3])- أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص 53،54،55.

وَلَقَدْ قُلتُ حِينَ أَقْفَرَ بَيْتِي مِنْ جِرَابِ الدَّقِيقِ وَالفَخَّارَه
وَلَقَدْ كَانَ أَهلاً غَيرَ قَفْرٍ مُخْصِبًا خَيرُهُ كَثِيرُ العِمَارَه
فَأَرَى الفَأرَ قَدْ تَجَنَّبْنَ بَيْتِي عَائِدَاتٍ مِنهُ بِدارِ الإِمَارَه
وَدَعَا بِالرَّحِيلِ ذُبَّانُ بَيْتِي بَيْنَ مَقْصُوصَةٍ إِلَى طَيَّارَه
وَأَقَامَ السِنَّوْرُ فِي البَيتِ حَوْلاً مَا يَرَى فِي جَوانِبِ البَيْتِ فَارَه
يَنْغَضُ الرَّأْسَ مِنهُ مِن شِدَّةِ الجُو عِ وَعَيشٍ فِيهِ أَذًى وَمَرَارَه
وَقُلتُ لَمَّا رَأَيْتُهُ نَاكِسَ الرَّأْ سِ كَئِيبًا فِي الجَوفِ مِنْهُ حَرَارَه
وَيْكَ صَبْرًا فَأَنْتَ من خَيْرِ سِنَّـ ـوْرٍ رَأَتْهُ عَيْنَايَ قَطُّ بِحَارَه
قَالَ: لاَ صَبْرَ لِي، وَكَيْفَ مُقَامِي بِبُيُوتٍ قَفْرٍ كَجَوفِ الحِمَارَه
قُلْتُ: سِرْ رَاشِداً إِلَى بَيْتِ جَارٍ مُخْصِبٍ رَحْلُهُ عَظِيمُ التِّجَارَه

وَإِذَا العَنْكَبُوتُ تَغْزِلُ فِي **دَنِّي** وَ **حُبِّي** وَالكُوزِ وَالقَرْقَارَه
وَأَصَابَ **الجَحَامُ** كَلْبِي فَأَضْحَى بَيْنَ كَلْبٍ وَكَلْبَةٍ **عَيَّارَه.**

فلما خلص من وصف البيت وهروب الفأر والذباب منه يتجه إلى هره الذي ينغض رأسه من شدة الجوع فيجري حوارا معه لما رآه ناكس الرأس فدعاه إلى الصبر فهو خير سنور رأته عيناه قط بحاره، غير أن السنور يبدي استهجانه من مثل هذا الطلب فيقول لصاحبه وهو يحاوره:

لا صبر لي وكيف مقامي وسط بيت قفر كجوف الحمارة، فيدعوه "**أبو الشمقمق**" بإشفاق ساخر أن يذهب إلى بيت جار مخصب رحله كثير التجارة؛ إذ أنه سيجد ثمة ما يأكله، أما إن بقي في منزله فلن يجد شيئا، وليس هذا فحسب فالعنكبوت قد غزلت لها بيتا في الأواني وذلك من الإهمال وعدم الاستعمال لفقر مالكها المدقع، أما الكلب قد أصيب

الدن: الجرة الضخمة الطويلة. **حبّي**: الجرة الضخمة.

الجحام: داء يصيب الكلب. **عيّارة**: التي تذهب كأنها منفلة من صاحبها.

بمرض جعله يتردد بين الذهاب والابتعاد عن هذا البيت وهذا الرجل عله يجد ذوي القلوب الرحيمة أم البقاء و تحمل المرض و الجوع.

1-3-4-الشكوى من البرد:

يبدو أن "**أبا الشمقمق**" لا يسأم من تصوير سوء حاله إذ أنه يشتكي حرمانه من كل شيء كعدم وجود بيت يلتجأ إليه و خلوه من المتاع كما اشتكى من جوع أولاده و حرمانهم، أما الآن فهو يشتكي البرد القارس الذي هبّ على بيته الحقير المقفر من كل شيء – ماعدا نواة التمر و النخالة – فهو يصور نفسه منجحرا من شدة البرد منكمشا كثعلب اضطرته الكلاب إلى الانكماش والانزواء في أي جحر كان منجاة لنفسه من هلاك محقق، مشيرا – مرة أخرى – إلى السنانير والجرذان والذباب قد هربت من بيته، لأنها لم تجد ما تأكله بل غدت المزابل أفضل منه؛ ويتضح هذا من خلال قوله:[1]

وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ أَجْحَـرَنِي البَر دُ كَمَا تُجْحِرُ الكِلاَبُ **ثَعَـالَه**
فِي بُيَيْتٍ مِنَ **الغَضَـارَةِ** قَفْـرٍ لَيْسَ فِيهِ إِلاَّ النَّوَى وَالنُّخَالَه
عَطَّلَتْهُ الجُرْذَانُ مِنْ قِلَّةِ الخَـيْرِ وَطَارِ الذُبَابُ نَحْوَ زُبَـالَه
هَارِبَـاتٍ مِنْهُ إِلَى كُلِّ خِصْبٍ جِيدَة لَم يَرْتَجِينَ مِنْهُ **بُلاَلَه**
وَأَقَـامَ السِّنَّـوْرُ فِيـهِ بِشَرٍّ يَسْأَلُ اللهَ ذَا العُلاَ وَالجَلاَلَه
أَنْ يَرَى فَأْرَةً فَلَمْ يَرَ شَيْئًـا نَاكِسًا رَأْسَهُ لِطُولِ المَلاَلَه.

إذا كان برد الشتاء القارس لا يرحم، ترتعد له الأبدان المكسوة فما بالك بالأبدان العارية، هكذا كان يعاني "**أبو الشمقمق**" وأولاده سواء من برودة الشتاء أو حرارة الصيف وهذا للانعدام المأوى الذي يحميهم.

([1])– أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص84،85.

ثعاله: يقصد الثعلب.

الغضارة: النعمة في العيش.

البُلالة: البلل أي الندى.

1-3-5- افتقاره للمركوب:

اشتكى "**أبو الشمقمق**" أيضا من التعب والإرهاق؛ وذلك لطول المسافات التي يمشيها على قدميه بعد أن خابت آماله في الحصول على دابة فيستريح من آلام التنقل، وفي ذلك يقول:[1]

أَتُرَانِي أَرَى مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا لِي فِيهِ مَطِيَّةٌ غَيرِ رِجْلِي
كُلَّمَا كُنْتُ فِي جَمِيــعٍ فَقَالُوا قَرِّبُوا لِلْرَّحِيلِ قَرَّبْتُ نَعْلِي.

2- الاستغــاثة والاستعطــاف:

تبقى الأبواب مغلقة تأبى أن تفتح، و يبقى الحظ عابسا يأبى أن يبتسم، ويواصل الشاعر حياته مهموما مغموما، ينظر إلى حالته وهي تسوء كل يوم أكثر فأكثر، وإلى أولاده وهم يتضورون جوعا فتتقطع أحشاؤهم، ولكن في يوم ما يصبح لا يقوى على ذلك التمزق الداخلي فيسعى إلى إيجاد وسيلة لتضميد تلك الجروح ومحاولة التخفيف من تلك الآلام، ويستمر في البحث إلى أن يجد نفسه قد وصل إلى حد الاستعطاف وطلب العون من أصحاب الجاه والسلطان رغم ما يكن لهم من احتقار، ورغم ما نعرفه من عزة وعنفوان نفس الشاعر. لكن لا خيار أمامه، لأنه من الصعب جدا على الإنسان أن يرى فلذات كبده وهم جياع يهلكون أمام عينه وهو مطوي اليدين، فهذا عذاب لا يعرفه إلا من راعه، فلا بد أن يفعل شيئا حتى ولو كان على حساب كرامته وكبريائه.

بالفعل لقد وصل الأمر بـــ "**أبي الشمقمق**" إلى حد البكاء لعله يجعل القلوب تلين والنفوس تجود بما لديها، فيخفف بذلك معاناة عياله الذين لا ذنب لهم سوى أنهم وجدوا في مجتمع سادت فيه أنظمة همجية لا تفرق بين كبير أو صغير، وتحصد كل من لا يستطيع الصمود أمامها،

([1])- المصدر السابق، ص80.

شعارها تلك المقولة: "**إذا وجدت أحدا يكاد أن يسقط فساعده على السقوط**" ، مجتمع كان الغني فيه صقرا كاسرا بينما الفقير فيه ذبابة حقيرة، بل ربما أقل من ذلك لأن الذباب في بعض الأحيان يحسب لها ألف حساب.

وهناك طريقتان يستخدمهما الشاعر للاستعطاف هما:

1- إما وصف تفسيري مثير للشفقة لوضع عياله الأليم، و بهذا يؤثر في ممدوحه فيبلغ بذلك هدفه.

2- شكر الشاعر لممدوحه وهو طلب عون غير مباشر، والشاعر بهذه الطريقة يصل إلى هدفه لا محالة لأن الممدوح عندما يسمع كلمات الشكر والثناء، تنشرح صدره فيجود بما لديه.

وهذا ما فعله "**أبو الشمقمق**"؛ حيث وجب عليه أن يصارع من أجل البقاء حتى ولو كان بأضعف الإيمان وهو الاستغاثة فلم يكن له إلا أن قصد أحد الهاشميين يشكوه حاله ويسأله بعض المال ينقذ به حياة أولاده من الجوع و الهلاك قائلا:[1]

يَــا أَيُّهَــا المَــلِكُ الــذِي جَمَعَ الجَلاَلَــةَ وَالوَقَــارَه
وَرِثَ المَكَــارِمَ صَالِحًــا وَالجُــودَ مِنْــهُ وَالعِمَــارَه
إِنِّي رَأَيتُــكَ فِي المَنَــا مِ وَعَدْتَنِي مِنْكَ الزَّيَــارَه
فَغَــدَوْتُ نَحْوَكَ قَــاصِدًا وَعَلَيْكَ تَصْدِيــقُ العِبَــارَه
إِنِّي أَتَــانِــي بِالــنَّدَى وَالجُودَ مِنكَ إِلَى البِشَــارَه
إِنَّ العِيَــالَ تَرَكْتُــهُمْ بِالمِصْرِ خُبْزُهُمْ العُصَــارَه
ضَجُّــوا فَقُلْتُ تَصَبَّــرُوا فَالنَّجْــعُ يُقْرَنُ بِالصَّبَــارَه
حَتَّى أَزُورَ الهَاشْمِــــ ــيَّ أَخَا الغَضَارَةِ وَالنَّضَارَه
وَلَقَدْ غَدَوْتُ وَلَيسَ لِــي إِلاَّ مَدِيــحُكَ مِنْ تِجَــارَه.

يقال هذا النوع من الشعر من أجل الاقتراب من الممدوح ونيل رضاه لأن الشاعر كان ذكيا عارفا بنفسية ممدوحه؛ فقد وفق إلى حد بعيد في

(1)- المصدر السابق، ص 52،53.

اختياره للكلمات المؤثرة مثل: الجلاله، الوقاره، كما وفق أيضا في اختيار العبارات التي تتضمن واقعا يتصف بالبؤس والشقاء، مما يجعل القلوب تلين بمجرد سماعها والنفوس تجود بما لها مثل قوله: "خبزهم العصارة"، "وأخو الغضارة والنضارة".

إلا أنه لابد من الإشارة إلى أن هذه الأبيات تحتضن في طياتها شيئين مختلفين هما الألم والتكلف.

1- الألم: فإن سببه هو الحالة المزرية الحقيقية التي يعيشها الشاعر وعائلته.

2- التكلف (النفاق): فسببه هذا المجتمع الذي لا يحب رؤية الأشياء على حقيقتها وإنما يهوى التزييف والتزوير تكلف خلّفته أساليب الطبقة الارستقراطية في العيش والتعامل؛ تلك هي الأسباب الماكرة التي لا يوجد أسلوب أقدر وأفضل من النفاق والمراوغة للرد عليها.

إذا كان الشعراء قد توقفوا عند هذا الحد وهو الاستعطاف واستعمال الشعر للتكسب وطلب النجدة والعطف من الآخرين فإن الأغلبية الشعبية المحرومة قد تعدت ذلك؛ حيث أنها استعملت أساليب أخرى أمكر وأدهى كالتسول والتطفل وغير ذلك. وربما كانت محقة كل الحق؛ لأنها كانت أمام قوة ضاغطة عظيمة لا بد لها من رد فعل يساويها أو يفوقها لأنها معرضة للسحق، فلم يكن لها إلا أن تدافع من أجل وجودها. تلك هي الحياة الكل يصارع فيها من أجل العيش لا يهم بأي أسلوب وبأية طريقة ولكن المهم هو البقاء والاستمرارية.

3- هجاء المتخمين والبخلاء والثورة عليهم:

كان طبيعيا بعد كل ما رآه هؤلاء المساكين في حياتهم من قهر وحرمان أن يشتد سخطهم مع الأغلبية الشعبية الساحقة على فساد الحياة السياسية في عصرهم، وأن يصبّوا جام غضبهم على الوزراء والقواد الذين كانوا يعتصرون الشعب ليعيشوا هم والخلفاء وكبار رجال الدولة في النعيم ولا ضرر أن يعيش الشعب في الجحيم، كما كان طبيعيا أن

ينقضّ بعض الشعراء من حين لآخر بوابل من الهجاء اللاذع والتمني لهم أن تصيبهم الكوارث واللعنات حتى يتخلصوا من ظلمهم وجبروتهم.

أما "**أبو الشمقمق**" فقد قام بهجاء بغداد وساكنيها لما شاع في أهلها من زيف مع أنهم يتقنعون بأقنعة الشرف وعلو النسب بما يسدلونه على أجسادهم من ألبسة الأشراف فيقول:[1]

لَيْسَ فِيهَـــا مُرُوءَةٌ لِشَـــرِيفٍ غَيْرَ هَذَا القِنَاعِ بِالطَّيْلَسَـــانِ

وَبَقِينَا فِي عصبةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَشْتَهُونَ المَدِيحَ بِالمَجَّـــانِ.

بعد ما عانى الفقراء والمحرومون ما عانوه من سياسة فاسدة ومن تضييق في المعيشة لجؤوا إلى دعاء الله بأن يزيل دولة لم يعرفوا أثناء حكمها إلا شتى أنواع الذل والهوان، وتمنوا جهارا ونهارا بأن تتحطم هاته الدولة ما دام لا يهمها من أمر هذا الشعب شيئا، وهم غير حافلين بما سيكلفهم هذا من عقاب، لأنه لن يكون مهما بلغت قسوته أسوء مما هم فيه، بل من شدة شوقهم لانهيارها خافوا أن يموتوا بحرقة غيظهم قبل أن يروا ما يثلج قلوبهم، وهنا يحضرنا قول شاعر آخر من شعراء العصر العباسي عانى أيضا من الفقر والذل والحرمان يهجو فيه بغداد وساكنيها قوله:[2]

تَصْلُحُ لِـــلْمُوسِرِ لاَ لامْرِئٍ يَبِيتُ فِي قَفْرٍ وَإِفْلاَسِ

لَوْ حَلّهَا قَارَونُ رَبُّ الغِنَى أَصْبَحَ ذَا هَمٍّ وَوَسْوَاسِ.

فهذا يدل على مدى البغض والكره الذي يكنه الشعب آنذاك لسلطة مستهترة لا مبالية، استهوتها الحياة البدخة وشغلتها مجالس الغناء واللهو عن أمور رعيتها.

أما "**أبو الشمقمق**" فله مقطوعات يصب فيها نقمته على أولئك البخلاء من ذوي المناصب العالية الواسعة في الرزق الذين لا يطيقون رؤية أحد

([1])– أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص 90.

([2])– أمين أبو الليل، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص28.

يمضغ الخبز غيرهم ويعرض بهم أيما تعريض، يهجي في إحداها "**جعفر بن أبي زهير**":[1]

وَإِبْطُكَ قَابِضُ الأَرْوَاحِ بِسَهْمِ المَوْتِ مِنْ تَحْتِ الثِّيابِ
شَرَابُكَ فِي السَّرَابِ إِذَا عَطِشْنَا وَخُبْزُكَ عِندَ مُنْقَطَعِ التُّرَابِ
رَأَيْتُ الخَبْزَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى حَسِبْتُ الخُبْزَ فِي جَوِّ السَّحَابِ
وَمَا رَوَّحْتَنَا لِتَذُبَّ عَنَّا وَلَكِنْ خِفْتَ مَرْزِئَةَ الذُبَابِ.

ولا أظن بعد هذا أنه يوجد من هو أشح من إنسان هذه صفاته وأبغض من إنسان هذا جبروته، وربما مهما قال الشاعر ومهما أُعطي لأقواله من تفسيرات فإننا لن نستطيع الوصول إلى حقيقة ما تعانيه نفسٌ عاشت منذ نعومة أظافرها في عوز وحرمان والحياة من حولها تشتد وتضيّق عليها وعلى أمثالها من الفئة الفقيرة المحرومة أبواب الرزق في الكد والعمل الشريف، وفوق هذا ترى تلك الفئة التي كانت ترقبها باستمرار ظلّت تتنعم من خيرات هذه الدنيا وتبخل عليها حتى بفتات موائدها. فـ "**أبو الشمقمق**" يقر أنه في زمن انقرض منه أصحاب النخوة سواء كانوا من الموالي أو من العرب؛ فالذين يعايشهم ليسوا إلا قشورا لا لبّ فيها، لأنها قشور قصب أجوف مع ادعائهم التقوى والكرم أكثر من "**حاتم الطائي**" ، إلا أن واقع حالتهم يشهد أن عقولهم ريح محبوسة لا نفع فيها لأحد يقول:[2]

ذَهَبَ المَوَالِ فَلاَ مَوَا لِ وَقَدْ فُجِعْنَا بِالعَرَبْ
إِلاَّ بَقَايَا أَصْبَحُوا بِالمِصْرِ مِنْ قِشْرِ القَصَبْ
بِالقَولِ **بَذّوا** حَاتِمًا وَالعَقْلُ رِيحٌ فِي القِرَبْ.

و في شعره أيضا ما أودعه في هجاء من كانوا يتظاهرون بالتدين وهم بغاة طغاة غارقون في الإثم والفسق، فهو يندد بمن يتسترون بالورع

([1])- أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق ،ص29.

([2])- المصدر السابق، ص30.

بذّ: سبق وغلب.

والتقوى ليخدعوا الناس ويصرفوهم عما يقترفون من الكبائر والمظالم ويظهر هذا في قوله:[1]

إِذَا حَجَجْتَ بِمَالٍ أَصْلُهُ **دَنِسٌ** فَمَا حَجَجْتَ وَلَكِنْ حَجَّتِ **العِيرُ**

لاَ يَقْبَلُ اللهُ إلاَّ كُلَّ طَيِّـــبَةٍ مَا كُلُّ مَنْ حَــجَّ بَيْتَ اللهِ مَبْرُورُ.

فهذا النقد هو كالمثل السائر الذي يصلح لكل عصر لأنه يصور ظاهرة متكررة في كل دهر؛ لأن من الناس من يخيل لغيره أنه تقي يؤدي كل فريضة من فرائض الدين في موعدها مهما تحمل الضيق والإرهاق في سبيلها، لكن حقيقته أنه منافق لا يعرف من الدين شيئا، لا يتمثل بتعاليمه في حياته ولا يأمر بالمعروف ولا يلين قلبه الفظ الغليظ على الضعفاء والمحتاجين.

وهناك ظاهرتان مهمتان استخدمهما "**أبو الشمقمق**" في هجائه:

أولهما: إكثاره من استخدام الألفاظ العامية والأمثلة الشعبية كقوله يهجو "**بشارين برد**" وقد فرض عليه جزية، فرفض "**بشار**" أداءها فقال له:[2]

سَبْـــعُ جُوزَاتٍ وَتِينَـــة فَتَحُوا بَـــابَ المَدِينَـــه

إِنَّ بَشَـــــــــارَ بْنَ بُرْدٍ تَيْسٌ أَعْمَى فِي سَفِينَه.

وقوله يهجو "**سعيد بن سلم الباهلي**" الذي يصفه من شدة بخله إذا ملك البحار وجاءه والده يسأله بما يتوضأ به لرفض إعطائه ونصحه التيمم بالتربة:[3]

هَيْهَاتَ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي نَوَالِ سَعِيدِ

وَاللهِ لَوْ مَلَكَ البِحَـــارَ بِأَسْرِهَا وَأَتَاهُ سَلْمُ فِي زَمَـــانِ مُـــدُودِ

يَبْغِيهِ مِنْهَا شَرْبَـــةً لِطَـــهُورِهِ لأَبَى وَقَـــالَ تَيَمَّـــنَ بِصَعِيـــدِ.

والمقصود من هذه الظاهرة عند "**أبي الشمقمق**" ضمان شيوع هجائه وانتشاره في الأوساط الشعبية وخاصة جماعات الصبيان ليحفظوه

([1])– المصدر نفسه، ص 56.

الدنس: الوسخ. **العير:** الإبل.

([2])– المصدر السابق، ص 92.

([3])– المصدر نفسه، ص 37.

ويرددوه في الطرقات والأسواق وذلك إيذاء للمهجو أذى لا ينقطع وإهانته لهذا كان أكبر الشعراء الهجائيين في عصره. " ومن الطبيعي أنه استكثر منه وأبدع فيه لأنه اتخذه سلاحا إلى طعن خصومه من الممدوحين الغلاظ طعنا مميتا، فكان بعض الشعراء يخافون هجاءه ويسارعون إعطاءه ما سألهم من الدراهم."[1]

ثانيهما: اعتماده الصور القبيحة التي كان يرسمها لمهجوه ليفضح بها حرصه على المال وبخله به وذلك ليظهر بأسوأ مظهر يؤدي إلى استخفاف الناس به والضحك عليه، ومن ذلك قوله في بخيل:[2]

فَمَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الخُبْزَ فَاكِهَةٌ حتَّى نَزَلْتُ علَى أَرْضِ بْنِ مَنْصُورِ

يَبِسَ اليَدَيْنِ فَمَا يَسْطِيعُ بَسْطَهُمَا كَأَنَّ كَفَّـــيْهِ شُـــدَّا بِالمَسَـــــامِيرِ.

وهناك بيتان يسخر فيهما من بخيل حرمه عطاياه فصوره تصويرا يدفع إلى الضحك والتعجب؛ حيث أن يداه مقفلتان بقفل – من شدة البخل والشح – إلى درجة أن الحداد قد عجز عن فتح هذا القفل وفي هذا يقول:[3]

إِنَّ رِيَـــاحَ اللُّؤْمِ مِنْ شُحِّـــهِ لاَ يَطْمَعُ الخِنْزِيرُ فِي **سَلْحِهِ.**

فبعد كل هذا كان طبيعيا أن تسخط تلك الطبقات المسحوقة وأن تغضب وتثور، كيف لا وهي لم تر في حياتها إلا شتى أنواع الشرور والمنكرات؛ إنسان يفرش مائدة بثلاثمائة لون من أفخم المأكولات، وإنسان لا يعرف مائدة قط، إنسان يتبختر بقلانس مرصعة بالذهب والدرر وإنسان لم يجد ما يدثر فيه فلذة كبده وهي ترتعش بين يديه فلم يكن له إلا أن ينفجر بكاء.

4- الأمـــاني وأحـــلام اليقـــظة:

([1])- حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص 117،118.

(2)- أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص45.

(3)- المصدر نفسه، ص36.

السلح: الخروج.

في كل تلك الحياة و في تلك الظلمة التي لم تكن إلا قسوة وحرمانا، استوقف الزمن للمرة الأخيرة ليقول له حان الوقت الذي سأستمتع فيه بكل الأماني التي طالما سددت لها آذانك وأحلامي التي رفضت دائما أن تحققها أم أنه حرم علي الحلم أيضا؟

استمع إليها فقط حتى تعلم أنها لم تكن صعبة التحقيق، إننا لا نحلم بقصر تحيطه حدائق غناء تنشرح لها نفوسنا ولا بخدم يتداولون على خدمتنا ولا نحلم بألبسة حرير وخز منمقة بالديباج والياقوت، ولا نحلم بطاولة طولها عشرة أمتار،كلا إنما أحلامنا هي أحلام معدمين كل ما يتمنونه في هاته الحياة هو قطعة خبز يأكلونها وقطعة قماش تقيهم شر البرد أو منزل يأويهم أو راحلة تريحهم من مشاق الطريق أو ما شابه ذلك من الأشياء الضرورية للعيش لا أكثر، وفي هذا يقول "**أبو الشمقمق**"[1]

مُنَايَ مِنْ دُنْيَايَ هَاتِي التي تَسْلَحُ بِالرِّزْق عَلَى غَيْـرِي
الجِرْدَقُ الحَاضِرُ مَعَ بُضْعَةٍ مِنْ مَاعِزٍ رَخْصٍ وَمِنْ طَـيْرِ
وَجَـرَّةٌ تَهْـدِرُ ملآنَـــةً تحكي قِراة القَسِّ فِي الدَّيـرِ
وَجُبَّةٌ دَكْنَاءُ فَضْفَـــاضَةٌ وَطَيلَسَـانٌ حَسَـنُ النَّـــيْرِ
وَبَغْـلَةٌ شَهْـبَاءُ طَـيَّارَةٌ تَطْوِي لِيَ البُلْدَانَ فِي السَّـيْرِ
وَبَـدْرَةٌ مَمْـلُوءَةٌ **عَسْجَدًا** مَا بِالذِي أَذْكُـرُ مِنْ **ضَيْـــرِ**
وَمَنْزِلٌ فِي خَيْرِ مَا جِيرَةٍ قَدْ عُرِفُـوا بِالخَـيْرِ وَ **المَيْـرِ**
وَصَاحِبٌ يَلْزَمُـنِي دهرَهُ مِـثلَ لُـزُومِ الـكَيْسِ لِلْـسَيْرِ
مُسَاعِدٌ يُعْجِبُـنِي فَهْـمُهُ مُرْتَفِـعُ الهِمَّـةِ فِي الخَيْـــرِ
كَمْ مِنْ فَتًى تُبْصِرُ ذَا هَيْئَةٍ أَبْلَدُ فِي المَجْلِـسِ مِنْ عَـــيْرِ.

(1)– المصدر السابق، ص 46،47،48.

الجردق: الرغيف.

البدرة: ولد الشاه إذا فطم. **العسجد:** الذهب. **ضير:** ضرر.

المير: الطعام.

فهذه الأحلام والأماني ما هي إلا انعكاس لرغبات كل فقير لا يريد من هذه الدنيا إلا أن تضمن له ما يقيه شر السؤال ويحفظ له ماء وجهه، رغبات ما أسهل أن تحقق ولكن للأسف لأن من مفارقات هاته الحياة أن الإنسان الذي لا يملك شيئا تأخذ منه حتى اللاشيء وتحرمه وترميه في دهليزها، والإنسان الذي وجد نفسه مند أن ولد في نعيم وبدخ تام تزيده من خيراتها وتسكنه في برجها.

5-الحمـــد والرضـــا:

فبعد كل هذه المعاناة وبعدما ينتهي شاعرنا من استرجاع شريط مسلسل كم أبكته حلقاته وكم آلمته أحداثه، مسلسل حياة أقل ما يقال عنها أنها حياة فقيرة بائسة، يقف مع نفسه وقفة يحمد فيها الله ويشكره ويعبر عن مدى راحة باله واطمئنان نفسه.

يحمده على أنه كان مظلوما في هاته الحياة ولم يكن ظالما، كان مسكينا ولم يكن طاغيا، كان محروما ولم يكن متخما، يحمد الله لأنه جرب ما يعنيه الظلم ولا يتمنى أن يكون السبب في تجريعه لأناس آخرين فيكرهونه ويبغضونه ويلعنونه .

الحمد لله الذي يمهل ولا يهمل فإذا ما حرم في حياته من كل خير وجُرد من أدنى وسائل العيش فإنه زُود بقوة إيمانية كبيرة وثقة عظيمة بالله سبحانه وتعالى جعلته يصبر على ما أصابه في حياته من مشاق.

وتيقن أنه مهما أحس بالضياع فإن لديه ربّ كريم، فـــلهذا نجد " **أبا الشمقمق**" يعرض بمن أتخموا وتسلطوا فقلقوا بينما ينعم هو براحة بال تامة فيقول:[1]

وَلاَ خِفْتُ **الإبَـــاقَ** عَلَى عَبْدِي ... وَلاَ خِفْتُ الهَلاَكَ عَلَى دَوَابِـــي

وَلاَ حَاسَبْتُ يَومًا **قَهْرَمَـــانـــًا** ... مُحَاسَبَةً فَأَغْلَظُ فِي حِسَـــــابِي.

---

(1)- أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق ، ص 28.

الاباق: هروب العبيد و ذهابهم من غير خوف .

القهرمان: المسيطر الحفيظ على من تحت يده.

فعلا أيها الشاعر إنك لا تملك شيئا بينما يملكون كل شيء؛ ومع ذلك فأنت متفوق عليهم بشيء ثمين، متفوق عليهم بالشيء الوحيد الذي يملكه أي فقير وهو راحة البال وطمأنينة النفس، لأنك لم يختلط الحساب عليك يوما، ولم تعتد على إنسان ثم تبين لك أنه غير مطمئن البال تصارع تأنيب الضمير وإنما عشت دائما في سلام مع ضميرك وهذا هو المهم.

خلاصة:

وبعد هذا لم يبق لي إلا أن أقول أنه بالرغم من تلك الحياة الفقيرة والبائسة التي عاشها "**أبو الشمقمق**" إلا أن هذا الوضع لم يمنعه من تنظيم شعر ينقل فيه مأساته ومأساة الطبقة التي ينتمي إليها. فليس المهم أن يعيش هذا الشاعر تلك المعيشة الشظفة، وأن يشقى كل ذلك الشقاء وإنما المهم أن تتعمق أحاسيسه فيصدر عنه ما رأيناه.

الفصـــل الثـــالث

الدراســـة الفنيـــة لشعر أبـــي الشمقمق.

1- البنـــاء العـــام.

2- المعجـــم الشعـــري.

2-1- التكـــرار.

2-2- التركيب اللغوي.

3- الصورة الشعرية.

3-1- الخيـــال.

4- التنـــاص.

5- السخـــرية.

الدراســـــة الفنيـــــة:

تغيرت الحياة العامة والاجتماعية خاصة في العصر العباسي تغيرا كبيرا، نتيجة التطور السريع الذي شاهدته المنطقة أعقاب انتصار العباسيين واستيلائهم على السلطة، وكان من نتائج هذا التغيير أن ظهر إلى جانب القصيدة التقليدية لون آخر من النظم، اتخذ لنفسه شكلا خاصا، وقد شهد إقبالا كبيرا من طرف العامة من الناس، لأنهم رأوا فيه تعبيرا عن إحساساتهم في صورة أقرب إلى نفوسهم وعقولهم و واقعهم من الشعر التقليدي الذي اتبع فيه أصحابه نمطية معينة في النظم لا يخرجون عنها، إلى درجة أنه أصبح يخيل إلينا في أحيان كثيرة أن الشعر ما هو إلا هذا النمط لا غير، فجاء ذلك اللون بعيدا كل البعد عن النمط القديم شكلا وعن حياة البلاطات والخلفاء والسياسة والحروب وغيرها مضمونا، وعكس بصدق حياة العامة التي لم يكن حظها في العيش كمستوى حظ سابقتها. وتعتبر الأشعار التي وردت في هذا البحث تمثيلا حقيقيا لذلك اللون الشعبي. وسأحاول في هذا الفصل الأخير أن أستخرج أهم خصائصه الفنية وأهم ما ميزه عن القصيدة الخاصة في شتى جوانبها.

1 -البنـــاء العـــــام:

إن قصيدة الشعر العربي مرت بمراحل عديدة، وكان لابد لها أن تتطور حسب العصر الذي تجتازه؛ فكانت في العصر الجاهلي تمثل تجربة حياة كاملة تتكرر باستمرار في مناخ متشابه، إذ كان الشاعر عادة يصف الأطلال في بداية القصيدة، ثم يصف رحلته وراحلته معا، لأن السفر في حياته جزء هام، ثم ينتقل إلى المدح أو الهجاء...الخ، إذا فالقصيدة الجاهلية كل متكامل صبّ فيها الشاعر حياته كلها. وفي العصر الأموي لم تتغير الأمور كثيرا مع نزوع طفيف إلى التحرر من

تلك الطريقة الموروثة في العصر الجاهلي، أما في العصر العباسي فتبعا للتطور في شتى المجالات فإن الأمور اكتست طابعا جديدا؛ فقد كان الإنسان يعيش من قبل في إطار القبلية الذي يضمن نوعا من الوحدة، أما في العصر العباسي فإن هذا الإنسان وجد نفسه في مجتمع تغيرت هياكله كلها.

وأول ميزة ألحظها بوضوح أن الشعر في هذا العصر قد خرج عن شكل القصيدة التقليدية والقصيدة الطويلة نسبيا " ذات مقدمة تطول وقد تقصر، ومدخل ينزلق منه الشاعر إلى موضوعه الرئيسي، ثم خاتمة ملحوظة سواء كانت خاتمة للموضوع الرئيسي نفسه أو خاتمة تقريرية عامة " [1]. فجاءت عبارة عن قصائد قصيرة ولنسميها " **المقطوعات** "، والسبب في ذلك أن الحياة لم تعد تسمح بتلك المطولات كما كان الحال من قبل فنتج عن ذلك هذا النوع الذي سمي بـــ "المقطوعات"؛ وهي تتكون من مجموعة قليلة من الأبيات، إذ أنها تتراوح بين البيتين وفي بعض الأحيان البيت الواحد والعشرة أبيات، ولا يخفى ما في هذه المقطوعات من دقة وإيجاز لأن الشاعر يحصر همه كله في موضوع واحد، ثم إن عقلية المستمع أيضا تغيرت فهو لم يعد يملك الوقت الكافي لينفقه في الاستماع إلى الشعر.[2]

أما ثاني المميزات وهي تابعة للأولى أن هذه المقطوعات تدور كلها حول موضوع واحد في أغلب الأحيان؛ لأنها كانت دائما تحمل مشكلة حياتية يومية نظرا لما لتلك المشاكل من تأثير على نفسيات الشاعر. إذا فهو إطار محدود وضيق عبّر فيه شعراء الطبقة العامة عن مشاكلهم، كما عبر فيه "**أبو الشمقمق**" تارة عن خاطر رواده وتارة عن شعور حاد في لحظة من اللحظات وتارة ثالثة عن دعابة هازلة ...الخ، وهذا بخلاف شعراء النخبة في هذا العصر أمثال "**أبي نواس**" و "**بشار بن**

(1)– عزالدين إسماعيل، في الأدب العباسي(الرؤية و الفن)، دار النهضة، بيروت، 1975م، ص 413.

(2)– ينظر، طاهر حجار خرفان، الاتجاه الشعبي في شعر العصر العباسي الأول(رسالة ماجستير)، جامعة دمشق، كلية الآداب قسم اللغة وآدابها، إشراف: محمود الزبداوي، 1981م، ص268.

برد" و"**المتنبي**" الذين كانوا أكثر ارتباطا بالقصيدة التقليدية والمحكمة البناء ومثلوها في أشعارهم أحسن تمثيل.

فلما نظرت إلى قصيدة "**أبي نواس**" التي مدح فيها "**الخصيب**" أمير مصر التي يقول في مطلعها:[1]

أَجَـــارَةُ بَيْتِنَـــا أَبُوكِ غَيُورُ وَمَيْسُورٌ مَا يُرْجَى لَدَيْكِ عَسِيرُ.

وجدت أن الشاعر جعل لها مقدمة في النسيب ثم انتقل إلى نوع من الفخر ثم إلى حوار جرى بينه وبين زوجته متخذا من هذا الحوار منزلقا انزلق به للحديث عن "**الخصيب**" والدخول في مدحه ثم وجد مناسبة لوصف رحلته إليه ثم رجع لمدح "**الخصيب**" بالصفتين التقليديتين الشجاعة والكرم، وإن أضاف إليهما حسن تدبير الأمور وعفة الضمير، ثم وصل من ذلك إلى الخاتمة وإلى الهدف الذي سعى إليه طوال هذا المدح وهو نوال ما هو جدير به من هدايا وجوائز. ولا شك بعد هذا يمكن الحكم عليها أنها فعلا قصيدة محكمة البناء، كما يمكن القول أن تلك الأشعار كان لا بد لها أن تأتي بذاك الشكل لأنها كانت تتضمن غرضا واحدا وهو التألم والشكوى والاستعطاف فلم يكن أصحابه بحاجة لمقدمات وإنما كانوا بحاجة فقط لإخراج ما يزدحم في صدورهم من ألم وضيق.

وقد تطلب ذلك الشكل- المقطوعة القصيرة- أوزانا أخرى تلائمه، مما أدى إلى ظهور أوزان قصيرة " وقد شغف العباسيون بها أيّما شغف وافتتنوا بها حتى نظم كثير من شعرائهم عليها "[2]. وكان السبب في ظهور هذه الأوزان سيطرة ذلك التراث من الشعر الذي يتسم بالجدية والعبوس على ذهنية العباسيين، وهم في مجتمع تعددت فيه أسباب الفقر والحرمان من جهة وأسباب الرفاه واللهو من جهة ثانية، فكان الأجدر بهم أن يعيشوا عصرهم وأن يتخلوا عن تلك الأوزان الطويلة التي تشبه

(1)- أبو نواس، الديوان، شرحه: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002م، ص327.

(2)- طاهر حجار خرفان، الاتجاه الشعبي في شعر العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص270.

امتداد الصحراء، فكان هؤلاء الشعراء –الشعبيين– في حاجة إلى أوزان قصيرة خفيفة تتمثل فيها الحياة الجديدة المحتوية على المتناقضات؛ بحيث تبرز المعنى المقصود وتسهل حفظ الأشعار وتداولها بين الناس.

وإذا انتقلت إلى "**أبي الشمقمق**" ومن خلال الدراسة الإحصائية التي قمت بها في دراسة الأوزان التي اعتمدها في ديوانه وجدت أنه قد أفرط في استعمال الأوزان الخفيفة مقارنة مع الأوزان الثقيلة والتي سيوضحها الجدول التالي:

1- الأوزان الخفيفة:

البحـــر	عـــدد الاستعمالات	المثـــــــــــال:
الخفيف	10	1/ أَتُرَانِـــي أَرَى مِـــنَ الدَّهْـــرِ يَوْمًا لِي فِيهِ مَطِيَّةٌ غَيْرَ رِجْلِي.[1] 2/ لَوْ رَكِبْتُ البِحَارَ صَارَتْ فِجَاجًا لاَ تَرَى فِي مُتُونِهَا أَمْواجًا.[2] 3/ قَالَ لِي النَّاسُ زُرْ سَعِيد بْنَ سَلَمٍ قُلْتُ لِلنَّاسِ : لاَ أَزُورُ سَعِيدَا.[3]
مجزوء الرمل	10	1/ أَنَـــا فِي حَـــالٍ تَعَـــالَى اللهُ رَبِّـــي أَيَّ حَـــــالِ.[4] 2/ أَنَـــا بِالأَهْـــوَازِ مَحْـــزُو نٌ وَبِـــالـــبَصْـــــرَةِ دَارِي.[5] 3/ يُوسفُ الشَّـــــاعِرُ فَرْخٌ وَجَـــدُوهُ بِـــالأَبُلَّـــــــه.[6]

(1)– أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص 80.

(2)– المصدر نفسه، ص33.

(3)– المصدر نفسه، ص39.

(4)– المصدر نفسه، ص 77.

(5)– المصدر نفسه، ص43.

(6)– المصدر نفسه، ص83.

السريع	8	1/ إِنَّ رِيَاحَ الـلُّؤْمِ مِنْ شُحِّـهِ لاَ يَطْمَعُ الخِنْزِيرُ فِي سَلْحِـهِ.(1) 2/ مـَا جَمَعَ النَّـاسُ لِدُنْيَـاهُمْ أَنْفَـعَ فِـي البَيْتِ مِنَ الخُبْزِ.(2) 3/ الصِّدْقُ فِي أَفْـوَاهِهِمْ عَلْقَمٌ والإِفْكُ مِثْلُ العَسَلِ المَـاذِي.(3)
المجتث	3	1/ الحَمْـــدُ للهِ شُكِـــرًا أَمْشِـي وَ يَرْكَبُ غَـــيْرِي.(4) 2/ أَنْتُم خُشَـــارُ خُشَـــارٍ وَلَيس خَـــزٌّ كَخَـــيْشِ.(5)
مجزوء الكامل	4	1/ عَـادَ الشَّمَقْمَقُ فِي الخَسَارَة وَصَبَا وَ حَنَّ إِلَى زُرَارَة.(6) 2/ كُـنْتُ المُـــمَزِّقَ مَـرَّةً فَاليَـوْمَ قَدْ صِرْتُ المُمَزَّقُ.(7)
الرجز	1	1/ إِنِّي إِذَا مَا شَاعِرٌ هَجَانِيَه وَ لَجَّ فِي القَولِ لَهُ لِسَانِيَه.(8)

وهذا لا يعني إهماله البحور الطويلة كليا، بل نجده يستعملها من حين لآخر؛ لأنه من الصعب على أي شاعر كان في أي عصر كان التخلي دفعة واحدة عن الموروث الشعري سواء في المعاني أو في الأشكال.

ويظهر هذا فيما يلي:

2 -الأوزان الثقيلة:

البحـــر	عدد الاستعمالات	المثـــال:
الطويل		1/ وَمُحْتَجِبٍ والنَّاسُ لا يَقرَبُونَهُ وَقَدْ مَاتَ هُزْلاً مِنْ وَرَا البَابِ حَاجِبُهُ.(9)

(1)- المصدر نفسه، ص 36.

(2)- المصدر نفسه، ص59.

(3)- المصدر نفسه، ص42.

(4)- المصدر نفسه، ص 46.

(5)- المصدر نفسه، ص65.

(6)- المصدر السابق، ص 51.

(7)- المصدر نفسه، ص72.

(8)- المصدر نفسه، ص 95.

(9)- المصدر نفسه، ص 30.

	7	2/ لَشَتَّانَ مَا بَينَ اليَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى إِذَا عُدَّ فِي النَّاسِ المَكَارِمُ وَالمَجْـدُ.(1) 3/ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَاتِرَ الطَّرْفِ ضَاحِكًا وَصَوِّتْ لَـهُ بِالحَـارِثِ بْنُ عُبَـادِ.(2)
البسيط	7	1/ يَا قَومُ إِنِّي رَأَيْتُ الفِيلَ بَعدَكُمُ فَبَارَكَ اللهُ لِـي فِي رُؤْيَةِ الفِيـلِ.(3) 2/ فَمَا كُنْتُ أَحْسَبُ الخُبْزَ فَاكِهَةٌ حَتَى نَزَلْتُ عَلَى أَرْضِ بْنِ مَنْصُورِ.(4) 3/ إِذَا حَجَجْتَ بِمَالٍ أَصْلُهُ دَنِسٌ فَمَا حَجَجْتَ وَلَكِـنْ حَجَّتِ العِيـرُ.(5)
الكامل	5	1/ لَكِنَّ هَذَا الرُّمْحَ أَضْعَفَ مَتْنَهُ صِغَرُ الوِلاَيَةِ فَاسْتَقَلَّ المُوصِـلاَ.(6) 2/ هَيْهَاتَ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي نَوَالِ سَعِيـدِ.(7)

إذا فالأوزان الخفيفة والمجزوءة هي التي غلبت على أشعاره، وذلك لأنه كان يتوجه بها إلى عامة الناس ويعبر بها عن مشاكله ومشاكل الأغلبية الشعبية من أمثاله.

أما فيما يخص القافية فوجدت أن الالتزام بالقافية الموحدة ظل قائما في أشعار "**أبي الشمقمق**" ؛ حيث وجدت الروي واحدا من بداية المقطوعة إلى نهايتها.

وهكذا يمكن القول أن شكل القصيدة في العصر العباسي قد تطور في اتجاهين متقابلين:

1- اتجاه اتخذ أصحابه العمل الملحمي ميزة في قصائدهم فطالت بذلك حتى بلغت مئات الأبيات و تميز به أولئك الشعراء المقربون من السلطة والذين ينتمون إلى شكل القصيدة التقليدية.

2- واتجاه آخر نحو إطار المقطوعات المحدودة الأبيات وجد فيه أصحابه خير وسيلة للتعبير عما يختلج صدورهم وتميز به شعراء الطبقة العامة.

---

(1)- المصدر نفسه، ص40.

(2)- المصدر نفسه، ص38.

(3)- المصدر نفسه، ص78.

(4)- المصدر نفسه، ص45.

(5)- المصدر نفسه، ص56.

(6)- المصدر السابق، ص 81.

(7)- المصدر نفسه، ص37.

لكن كل من هذين الاتجاهين قدما عطاء ليس بقليل ولا غرابة في نموهما معا في عصر كالعصر العباسي الذي اتسع لكل التجارب ولكل المتناقضات.

3 -المعجـــم الشعـــري:

إن المتأمل في معجم هاته الأشعار يلاحظ خروجها عن إطار المعجم الشعري القديم تماما وحتى المعجم المعاصر لها آنذاك؛ حيث جاءت بمعجم لغوي اشتق عناصره التعبيرية مما كان يجري على ألسنة العامة من الناس، يمتاز بالسهولة والبساطة سواء في المفردات أو التراكيب – مقارنة بما ألفناه في ذاك العصر–، وهذا راجع لطبيعة الموضوع الذي تناولته؛ فهي لم تكن مدحا فتحتاج للغة منمقة، ولا فخرا فتكون بحاجة للغة فخمة، ولا حماسية فتحتاج للغة غليظة رنانة، وإنما كانت عبارة عن معاناة لم تكن تريد أكثر من تلك اللغة اليسيرة البسيطة المعبرة.

ومن خلال ذلك اعتمدت على الإحصاء بوصفه طريقة تساعد على رصد المفردات التي يكثر توظيفها في شعر "**أبي الشمقمق**" الذي سقط من قائمة الشعراء المشهورين، وقد تميزت اللغة الشعرية على النحو التالي:

1- ألفاظ تدل على الهجاء.

2- ألفاظ توظف معاني الحرمان والفقر.

ويبدو أن هذا الأخير هو الموضوع الرئيس عند "**أبي الشمقمق**" ، إذ لا تكاد تخلو منه مقطوعة أيا كان لونها، وليس ذلك بسبب ارتفاع نسبة مفرداته، ولكن لأنه الموضوع الذي يمس صميم حياته. ولما أحصيت المفردات المعبرة عن الفقر وجدتها تتجاوز المئات، وهذا يدل على أنه احتل الأهمية الأولى عنده. ويأتي موضوع الهجاء في المرتبة الثانية، وذلك لأن الإلحاح على موضوع بعينه يولد أفكارا بعينها، الأمر الذي يساعد على حصر الدلالات التابعة لأي موضوع على النحو التالي:

1- حقل الغذاء: وهو يشتمل على الطعام والشراب ومفرداته الغالبة هي: الرغيف، الخبز، الأرز، جوازات، التمر، الفاكهة، العصارة، لبن، العنز...مثل قوله[1]:

وَالخُبْزُ بِاللَّحْـمِ إِذَا نِلْتَـهُ فَأَنْتَ فِي أَمْنٍ مِنَ التَّـرْزِ.

2- حقل السؤال والاستعطاف: ومفرداته الدائرة فيه هي: يا رب، يسأل، ارحم، الملك، الجلالة، الوقارة. مثل قوله[2]:

يَـا أَيُّهَـا المَـلِكُ الـذِي جَمَعَ الجَلاَلَـة وَالوَقَـارَه.

3- حقل الملبس: ومفرداته هي: القميص، الطيلسان، النعل، التلبيس، الثياب، جبة...الخ مثل قوله[3]:

كُلَّمَا كُنتُ فِي جَمِيعٍ فَقَالُوا قَرِّبُوا لِلرَّحِيلِ قَرَّبْتُ نَعْلِـي.

4- حقل اليأس: والمفردات الدالة على هذا الحقل هي: أشكو، كئيب، ناكس الرأس، يأس...الخ وهذا في قوله[4]:

وَقُلتُ لَمَّـا رَأَيْتُهُ نَـاكِسَ الـرَّأْ سِ كَئِيبًا فِي الجَوفِ مِنْهُ حَرَارَه.

5- حقل الضعف: ومفرداته هي: أهرت، محت...وغيرها. مثل قوله[5]:

وَلَـقَدْ أَهْـزَلْتُ حَتَّـى مَحَتِ الشَّمْسُ خَيَالِي.

وفي هذه الحقول يمكن القول أن هذه الألفاظ كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالواقع الذي يعيشه، معبرة عن آلامه في الحياة، فهو مثّل لفقره وحرمانه ببعض الألفاظ؛ فبينما تحدث عن حقل الغذاء وما يشتمل عليه من الطعام لم يتحدث عن الموائد العامرة بألوان الطعام، بل ركز على الخبز والرغيف، لأنه قرين الفقر فيتردد في شعره كثيرا، ويعبر به عن جوعه وحياته المحرومة، كما أن فيه استعطاف للناس حتى يجودوا له

([1])- أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص59.

([2])- المصدر نفسه، ص 52.

([3])- المصدر نفسه، ص80.

([4])- المصدر نفسه، ص54.

([5])- المصدر السابق، ص80.

ببعض المال، وكان أقصى ما تطمح إليه نفسه وأمانيه يتمثل في الخبز أو الرغيف والأرز واللحم.

كما صور أولاده تصويرا مختلفا بقوله[1]:

وَقَدْ دَنَا الفِطْرُ وَصِبْـيَانُنَـا لَيسُـوا بِذِي تَمرٍ وَلاَ أُرْزِ.

فمما يلاحظ أن لغة هاته الأشعار – رغم ما تميزت به– أنها لغة فصيحة قوية معبرة عن الحياة والواقع وحال الشاعر، ولكن تبقى دائما بعيدة وبعيدة جدا عن لغة شعر النخبة الذي بلغ أوجه آنذاك على يد "**المتنبي**" و"**إبن الرومي**" و"**أبو العتاهية**" وغيرهم.

وهناك ميزة أخرى تميزت بها لغة شعر "**أبي الشمقمق**" وهي احتوائها على ألفاظ أعجمية فارسية خاصة؛ وهذا ليس غريب في عصر كالعصر العباسي الذي شاعت فيه مثل هاته الألفاظ، لاختلاط العرب بالشعوب الأخرى؛ حيث أصبح الناس يتداولون تلك الألفاظ الدخيلة بكل عفوية وخاصة الدالة منها على الأطعمة والألبسة، ونورد في هذا الصدد قول "**أبي الشمقمق**"[2]:

مِنْ قَهْـــوَةٍ مِسْكِيِّـــةٍ وَاللَّونُ مِثلُ **الجُلَّنَـــارَه.**

فكلمة **الجلنارة** هي كلمة فارسية تعني: **الرمان.**

و كذلك قوله[3]:

قُلْتُ صَبْرًا يَا **نَاُز** رَأْسَ السَنَا نِيرِ وَعَلَّـلْتُهُ بِحُسْنِ مَقَالَه .

فكلمة **نـــــاز** هي اسم للسّنَور بالفارسية أيضا.

بالإضافة إلى كل هذا احتوت أشعاره في أحيان كثيرة على ألفاظ بذيئة وفاحشة منعنا الحياء من ذكرها.

2-1- التكـــــــــرار:

مما يلاحظ أيضا أن التكرار ظاهر في هاته الأشعار؛ لأنه مرتبط ارتباطا وثيقا بظروف الشاعر النفسية، كما أن التكرار " يضع في أيدينا

---

(1)- المصدر نفسه، ص59.

(2)- المصدر السابق، ص51.

(3)- المصدر نفسه، ص85.

مفتاحا للفكرة على الشاعر و من ثم يصبح بمثابة الضوء الذي يسلطه على الأعماق حتى يسهل الإطلاع على خباياه "[1].

ومن هذا التكرار قوله[2]:

مَا جَمَعَ الـــنَّاسُ لِدُنْيَـــاهُم أَنْفَعَ فِي البَيْتِ مِنَ الخُـــبْزِ
وَالخُبْزُ بِاللَّحْـــمِ إِذَا نِلْتَـــهُ فَأَنْتَ فِي أَمْنٍ مِنَ التَّـــرْزِ
إلى أن يقول: فَلَو رَأُوا خُبزًا عَلى شَـــاهِقٍ لأَسْرَعُـــوا لِلْخُـــبْزِ بِالْجَمْزِ .

يلاحظ في هذه المقطوعة تكرار كلمة " **الخبز**" أربع مرات فكأن الشاعر حرص على التركيز عليه، وهو بهذا الحرص يحاول إشعار السامعين بمدى حاجته إليه وأهميته عنده، فهو أقصى ما تطمع إليه نفسه من أجل صغاره، وهذا التكرار يؤكد شدة عوز وحاجة "**أبي الشمقمق**" ، وكذلك قوله أيضا[3]:

شَرَابُكَ فِي السَّرَابِ إِذَا عَطِشْنَا وَخُبْزُكَ عِندَ مُنْقَطَعِ التُّـــرَابِ
رَأَيْتُ الخُبْزَ عَزَّ لَدَيْـــكَ حَتَّـــى حَسِبْتُ الخُبْزَ فِي جَوِّ السَّحَابِ.

كما وردت أيضا لفظة "**باب**" و لفظة "**المنزل**" عدة مرات في شعره، وهذا التكرار يدل على حرمانه من المنزل وما يحتويه؛ إذ وصف بيته أنه ليس له باب بقوله[4]:

بَرَزْتُ مِنَ المَنَازِلِ وَالقِبَـــابِ فَلَمْ يَعْسُرْ عَلَى أَحَـــدٍ حِجَابِي
فَمَنْزِلِي الفَضَـــاءُ وَسَقْفُ بَيْتِي سَمَاءُ الله أَو قِطَـــعُ السَّحَـــابِ
فَأَنتَ إِذَا أَرَدْتَ دَخَلْتَ بَيْتِـــي عَلَيَّ مُسَلِّمًـــا مِنْ غَـــيْرِ بَـــابِ
لأَنِّي لَمْ أَجِدْ مِصْرَاعَ بَـــابٍ يَكُونُ مِنَ السَّحَابِ إِلَـــى التُّرَابِ .

وعلى هذا النحو أرى أن ألفاظ "**أبي الشمقمق**" عبرت عما يحسه من حرمان وفاقه، فهذه الألفاظ وأفصحت عن ظروفه النفسية، والتكرار كان

([1])– أحمد السيد أبو المجد، شعراء الظل في العصر العباسي الأول، دار جرير، الأردن، ط1، 2010م، ص127.
(2)– أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص59.
([3])– المصدر نفسه ، ص29.
([4])– المصدر نفسه، ص28.

الهدف منه تبليغ رسالة عن طريقته، فلقد ركز على ما حرم منه، وعبر عن فقره وعن مدى الحرمان الذي عاشه.

وبما أن لغة أي إنسان تستمد من ثقافة عصره، فإنني وبعد دراستي للغة شعر "**أبي الشمقمق**" ، سأسمح لنفسي بالقول أن ثقافته كانت ثقافة شعبية محتشمة محدودة اكتسبها من محيطه الاجتماعي المتواضع، بخلاف معاصريه من الشعراء الذين عرفوا شتى أنواع المعرفة والعلوم فتكون لديهم معجم لغوي عكس حقا مستوى تلك المعرفة.

وإذا ما حاولت تلخيص ما سبق أقول أن لغة هاته الأشعار لا تمتاز بتأنق في ألفاظها ولا تكلف في اختيارها؛ كما أنها لم تكن وليدة أيام وليالي من التفكير والانتقاء، وإنما كانت وليدة لحظتها، وهي ليست لغة غريبة ولا بعيدة عن المألوف- في عصرها- وإنما هي بسيطة بساطة متميزة، بساطة لا توجد إلا عند أمثال الشاعر من الطبقة الكادحة، بساطة تصاحبها قدرة تعبيرية عجيبة.

وبقي أن أذكر شيئا واحدا يجب ذكره فيما يخص هاته الأشعار وهو اختفاء النزعة الخطابية منها، هاته النزعة التي كانت من أهم خصائص الشعر آنذاك، وخاصة عند "**المتنبي**" الذي تميز شعره بنبرة خطابية قوية وعجيبة، وقصائده مع "**سيف الدولة الحمداني**" خير شاهد على ذلك، وبالرغم من توفر بعض أدوات تلك النبرة الخطابية كالنداء والاستفهام في بعض أبيات " **أبي الشمقمق**" كقوله: "يا أيها الملك"، "أتراني أرى من الدهر يوما"، إلا أننا نحس أن هذه الأبيات تمتاز بهدوء وسكينة واستسلام ما هي من النزعة الخطابية في شيء. لهذا فمن الأحرى أن أقول أن هاته الأشعار تطغي عليها قوة واضحة معبرة عن المقصود، كما تطغى عليها نبرة هادئة هامسة لا ألمس من خلالها إلا التألم والتأوه.

2-2- التركيـــب اللغـــوي:

إن تحليل التركيب اللغوي هام وضروري من أجل فهم القصيدة ومعرفة مواقع الكلمات وما تحتويه من معان وما تحتضنه من دلالات. وقد يكون من الأفضل أن أعرض لبعض شعره بطريقة مفصلة حتى نتحقق من اكتمال عناصر الترابط البنائي فيه، ولابد أن أشير إلى تلك البساطة في التركيب؛ حيث كانت جمله غالبا عبارة عن فعل + فاعل + مفعول به على التوالي، فلم تكن لتفاجئ القارئ أو تخرق أفق توقعه، فكل قصيدة ذات بناء لغوي يختلف عن الأخرى، ويصبح من الضروري فهم هذا البناء لفهم العالم الداخلي لمكنونات الشاعر ومدى ارتباط ألفاظ هذه القصائد أو المقطوعات بواقعه الذي يعيشه. ففي هذه المقطوعة يعبر الشاعر عن سوء حظه فيقول[1] :

لَوْ رَكِبْتُ البِحَارَ صَارَتْ فِجَاجًا لاَ تَرَى فِي مُتُونِهَا أَمْوَاجَـــــا
وَلَو أَنِّي وَضَعتُ يَاقُوتةً حَمْـــــ ـــرَاءَ فِي رَاحَتِي لَصَارَتْ زُجَاجَا
وَلَوْ أَنِّي وَرَدِتُ عَذْبًـــا فُرَاتًـــــا عَادَ لاَ شَكَّ فِيهِ مِلْحًا أُجَاجَـــا .

ففي هذه الأبيات يستخدم الشاعر أدوات لغوية حتى يعبر بها عن سوء بخته فيوظف – لو – في بداية البيت الأول، ثم ينفي رؤية الأمواج في متون البحار بإدخال " لا" النافية على الفعل المضارع " ترى " في الشطر الثاني ليكون كتذييل يؤكد مضمون الشطر الأول، ثم يكرر العطف " بلو " ليؤكد مظاهر حرمانه وسوء حظه، وينفي الشك في ملوحة العذب الفرات في البيت الثالث بدخول " لا النافية " للجنس على اسمها النكرة " شك ". وقد أدى التصوير الكلي الذي اعتمده الشاعر دوره في تجسيد المعنى في أجزاء تمثلت في: البحار والأمواج والعذب الفرات. أما التعبير عن الحركة والصوت فقد عكسها ضمير المتكلم : ركبت، وضعت، وردت .

أما في قوله[1]:

([1])– أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص33.

(1)– المصدر السابق، ص52.

يَـا أَيُّهَـا المَـلِكُ الـذِي جَمَعَ الجَلاَلَـة وَالوَقَـارَه
وَرِثَ المَكَـارِمَ صَالِحًـا وَالجُـودَ مِنْـهُ وَالعِمَـارَه
إِنِّي رَأَيتُـكَ فِي المَنَـا مِ وَعَدْتَنِي مِنْكَ الزَّيَـارَه
فَغَـدَوْتُ نَحْوَكَ قَـاصِدًا وَعَلَيْكَ تَصْدِيـقُ العِبَـارَه
إِنِّي أَتَـانِـي بِالـنَّدَى وَالجُودَ مِنكَ إِلَى البِشَـارَه
إِنَّ العِيَـالَ تَرَكْتُـهُمْ بِالمِصْرِ خُبْزُهُمْ العُصَـارَه
ضَجُّـوا فَقُلْتُ تَصَبَّـرُوا فَالنَّجْـعُ يُقْرَنُ بِالصَّبَـارَه
حَتَّى أَزُورَ الهَاشْمِـيَّ أَخَا الغَضَارَةِ وَالنَّضَارَه
وَلَقَدْ غَدَوْتُ وَلَيسَ لِـي إِلاَّ مَدِيـحُكَ مِنْ تِجَـارَه.

الشاعر في هذه الأبيات في موقف استعطاف واستنجاد، لهذا قام بتوظيف أدوات لغوية تؤدي هذا الغرض؛ فاستخدم مثلا أسلوب الحكاية الذي يفيد التشويق والإثارة، واستهلّ حديثه بمقدمة أوحت بالمضمون؛ حيث بدأ أبياته بالنداء الذي أفاد التعظيم "يا أيها الملك"، وجمع له بين صفتين عظيمتين هما "الجلالة" و "الوقارة"، واعتمد على التنبيه والإثارة الذهنية. ثم انتقل بالأسلوب من ضمير المتكلم "إني" إلى المخاطب في "رأيتك" والياء في "وعدتني" إلى المخاطب "منك" كما أدخل حرف الجر "من" على ضمير المخاطب وعرّف الزيارة بـــ"أل" الأمر الذي جعل المخاطب يختص بها فبدت الزيارة وكأنها معهودة من قبل من طرف الملك، أما لفظ "وعدتني" فقد وضّفه ليستحث الملك على الوفاء، والشاعر لا يكتفي بذلك وإنما يبكر في قصده فاستخدم لفظ "فغدوت" مقرونا بـــ"الفاء" ليوحي بالسرعة واللهفة. واستمر الشاعر بجلب عطف الملك وذلك بأسلوب الالتفاف والتحول مرة أخرى من ضمير المتكلم في "غدوت" إلى ضمير الغائب – تركتهم – ثم يصعد بمأساته إلى قمتها وذلك بصرخة مدوية في الفعل "ضحوا" مع حذف باقي عناصر الجملة(أي ضجوا من قسوة الفقر) وذلك للإيحاء بهول ما يعانون. أما جملة "تصبروا" فقد جاءت في موضعها بكل دقة وهذا ما يحتاجه

الموقف وطبيعة الحال والشاعر يأمل أملا كبيرا في انفراج أزمته بلقاء الهاشمي حيث استخدم – حتى – في الأخير التي أفادت الغاية، كما جمع بين الغضارة والنضارة وجعلهما ملازمين لمطلوبه.

وكذا في قوله[1]:

بَرَزْتُ مِنَ المَنَازِلِ وَالقِبَـــابِ فَلَمْ يَعْسُرْ عَلَى أَحَـــدٍ حِجَابِي
فَمَنْزِلِي الفَضَـــاءُ وَسَقْفُ بَيْتِي سَمَاءُ الله أَو قِطَـــعُ السَّحَـــابِ
فَأَنتَ إِذَا أَرَدْتَ دَخَلْتَ بَيْتِـــي عَلَيَّ مُسَلِّمًـــا مِنْ غَـــيْرِ بَـــابِ
لأَنِي لَمْ أَجِدْ مِصْرَاعَ بَـــــابٍ يَكُونُ مِنَ السَّحَابِ إِلَى التُّرَابِ
وَلاَ انْشَقَّ الثَّرَى عَنْ عُودِ تَخْتٍ أُؤَمِّـــلُ أَنْ أَشُـــدَّ بِهِ ثِيَابِـــــي.

فهو حين يعبر عن فاقته وحاجته يستعين بصياغة شعرية ذات دلالة كبيرة ليجعل القارئ يشاركه بؤسه؛ حيث يدخل أداة النفي " لم" على المضارع "يعسر" لينفي بذلك المشقة في حدوث الرؤية. ويعبر عن استمرار النفي باقتران الفاء بـــ" لم" فقد أفاد سرعة الرؤية لخلو منزله من الحاجيات الضرورية، كما يوجد في الأبيات ترابط عضوي وثيق؛ فالبيت الأول يعرض قضية والثاني تعليل له والثالث نتيجة والرابع مكمل للثالث والخامس معطوف على الرابع. أما الألفاظ فقد أدت دورها على أكمل وجه في الصياغة؛ فعطف "القباب" على "المنازل" بصيغة الجمع أوحى بالسخرية والمبالغة. أما النفي في "لم ادع" أوحى بالمرارة أما توظيفه لصيغة الشرط في البيت الثالث فقد كان دقيقا باستخدام "إذا" التي دلت على التحقيق، وكذا الإتيان بفعلي الشرط وجوابه "أردت، دخلت" ماضيين الذي دل على تحقيق الدخول في المستقبل، أما تكرار النفي في البيت الرابع والخامس "لم أدع، لا انشق" فقد أكد به فقره وتنوع حاجاته، أما الفعل "أؤمل" فقد كان في موضعه الدقيق لأنه وضع نهاية لآمال الشاعر وجعل الفقر حليفه وكل هذا عبّر به عن قدر كبير

(1)– أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص28.

من الحسرة والشكوى من مرارة العيش حتى كأن بيته هو الأرض وسقفه السماء.

3- الصـــورة الشعـــرية:

لطالما شغل مصطلح الصورة الشعرية فكر الباحثين والنقاد ولطالما أسال أقلامهم، وكان كل واحد منهم يعطيها تفسيرا أو مفهوما كما يراه ويظنه، ولكن تساؤلاتهم في هذا المجال وبحوثهم ظلت دائما منصبة على كيفية صياغة الشاعر الفلاني لقصيدته الفلانية أو البحث عن تفصيلات الثوب الذي لبسته هاته القصيدة أو تلك. ويعرف أحد النقاد الصورة الشعرية بأنها " الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ و العبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة و إمكاناتها في الدلالة والتركيب والإقناع والحقيقة والمجاز والترادف و التضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني."[1]

وانطلاقا من هذا التعريف سأبدأ في كيفية تجلي عناصر الصورة الشعرية عند "**أبي الشمقمق**" ؛ وذلك باستعراض بعض الأشعار واستخراج أهم ما ورد فيها من صور بيانية وغيرها من أدوات التعبير الفني الأخرى، وفي ذلك سأحاول الكشف أخيرا عن خصائصها عنده.

3-1- الخيـــــــال :

وهو أهم ما يجب أن أتحدث عنه في البداية فمن خلال ما وقع بين يدي من أشعار "**أبي الشمقمق**" ، ومن خلال تعاملي معها طوال فترة هذا البحث سأقول أني لمست خيالا محدودا قريب المأخذ؛ حيث ظل دائما ملامسا للواقع مرتبطا به ولم يجرؤ على التحليق فوقه ولو بقليل.

فقد كانت صور "**أبي الشمقمق** " مستمدة من واقع حياته اليومية؛ إذ جاءت صورا حسية لا تمت للتجريد بصلة كما أني لم أعثر على صور

(1)- عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1981م، ص391.

توحي بأن هذا الشاعر قد قام برحلات وجولات كان من شأنها أن توسع خياله وتمده بعناصر جديدة تزيد من تحليقه وتجديده، وإنما كل ما رأيته من صور يؤكد أن أفق هذا الشاعر كان ضيقا محدودا؛ إذ انحصرت نظرته وتصوراته في ذلك الواقع المر وتلك الحياة اليومية بكل ما فيها من رتابة وروتينية.

بما أن الخيال يقوم على عناصر كـــ: الاستعارات والتشبيهات والكنايات وما شابه ذلك، فسأقوم باستخراج بعض منها، والتي كانت موجودة بكثرة في شعر "**أبي الشمقمق**" على النحو التالي:

3-1-1- التشبيـــــــه:

تعريـــفه:

التشبيه هو تطابق شيئين أو عدة أشياء بصفة أو عدة صفات، وله أركانه وأنواعه.

أما "**ابن طباطبا**" فيعرف التشبيه أنه: " إذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوي التشبيه وتأكد الصدق فيه وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له."[1]

يعرف التشبيه أيضا أنه: " بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة [2].؛ إذا ونجد التشبيه في قول "**أبي الشمقمق**" في هذا البيت[1]:

كَفَّاهُ قُفْلٌ ضَـــاعَ مِفْتَـــــاحُهُ قَدْ يَئِسَ الحَـــدَّادُ مِنْ فَتْحِـــهِ.

(1)- ابن طباطبا، عيار الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005م، ص31.

(2)- علي الجارم، البلاغة الواضحة، دار المعارف، مصر، ط5، 1988م، ص 20.

(1)- أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص36.

وهو تشبيه بليغ؛ حيث شبّه كفي البخيل بالقفل الذي ضاع مفتاحه فلم يتمكن من فتحه. وكذا قوله[1]:

الصِّدْقُ فِي أَفْــوَاهِهِمْ عَلْقَــمٌ وَالإِفْكُ مِثْلُ العَسَلِ المَــاذِي.

فهذا أيضا تشبيه بليغ ويظهر في قوله "الصدق في أفواههم علقم"؛ حيث شبه الصدق في أفواههم بالعلقم لأنهم لا يحتملونه، وتشبيها مرسلا في قوله "الإفك مثل العسل الماذي"؛ حيث شبّه الإفك والغدر بالعسل الخالص لأنهم يحبونه.

أما هذه الأبيات التي يقول فيها[2]:

لَوْ رَكِبْتُ البِحَارَ صَارَتْ فِجَاجًا لاَ تَرَى فِي مُتُونِهَا أَمْوَاجَـــــا

وَلَو أَنِّي وَضَعتُ يَاقُوتةً حَمْـــ ــرَاءَ فِي رَاحَتِي لَصَارَتْ زُجَاجَا

وَلَوْ أَنِّي وَرَدِتُ عَذْبًــا فُرَاتًـــا عَادَ لاَ شَكَّ فِيهِ مِلْحًا أُجَاجَـــا.

يلاحظ أن كل بيت من هاته الأبيات الثلاثة يتضمن تشبيها؛ لأنه لا بحار تصير يوما فجا، ولا الياقوت يتحول إلى زجاج، ولا الماء العذب يصبح ملحا، وإنما كل هذا تمثيل أراد به تبيان مدى سوء بخته وحظه الذي يأبى أن يبتسم.

ولقد كان لكلمة "البحار"، "الياقوت" و"الماء العذب" أثر كبير في تقوية هذا التشبيه لأنه لو قال مثلا الأنهار لما كان لها نفس تأثير كلمة البحار كما يلاحظ أيضا تكرار صيغة "لو" في هاته الأبيات، لكنها أضفت ضربا من التوازن في العبارة الشعرية، فأكسبتها رتابة في الإيقاع أوحت لقارئها شعورا واحدا، أي درجة انفعال واحدة في كل الأبيات.

بعد هذا أظن أن الشاعر وُفق في هذا التشبيه الذي أجاد سبكه حتى جعل القارئ يتصور بوضوح مدى سوء حظه .

3-1-2- الاستعارة:

([1])- المصدر نفسه، ص42.

(2)- المصدر السابق، ص33،34.

تعريفها:

تعرف الاستعارة بأنها: " نقل العبارة عن موضع استعمالها في أهل اللغة إلى غيره لغرض."[1]

أما "**عبد القاهر الحرجاني**" فيعرفها بقوله: " اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على انه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر وغير الشاعر في غير ذلك الأهل وينقله إليه نقلا غير لازم."[2]

إذا فالاستعارة هي تشبيه حذف أحد طرفيه. وتظهر في قول "**أبي الشمقمق**"[3]:

وَلَقَـدْ أَهْزَلْتُ حَتَّـــى مَحَتِ الشَّمْسُ خَيَـــالِي.

في هذا البيت توجد استعارة مكنية في قوله "محت الشمس خيالي"؛ حيث شبّه الشمس بالممحاة التي تمحي الشيء حيث ذكر المشبه "الشمس" وحذف المشبه به وهو"الممحاة" وترك قرينة تدل عليها كلمة " محت " كما نجدها في قوله[4]:

وَذَاكَ أَنَّ الدَّهْرُ عَـادَاهُمُ عَداوةَ الشَّـاهِينَ لِلْـوزِ.

وهي استعارة مكنية تظهر في قوله "الدهر عاداهم"؛ حيث شبه الدهر بإنسان يعادي فذكر المشبه "الدهر" وحذف المشبه به وهو"الإنسان" وترك قرينه تدل عليه وهي الفعل "عادي".

3-1-3- الكنـــــاية:

تعريفها:

تعرف الكناية بأنها: " كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما." [1] أي أنها اللفظ الذي يراد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى؛ ومعنى هذا أن المتكلم قد يريد

---

(1)– أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب، لبنان، ط2، 1989م، ص295.

(2)– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المدني، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 30.

(3)– أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص77.

(4)– المصدر نفسه، ص60.

(1)– ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، 1990م، ج2، ص182.

إفادة معنى من المعاني فلا يذكره بلفظه الصريح الذي وضع له في أصل اللغة وتظهر الكناية عند "**أبي الشمقمق**" في قوله[1]:

فَمَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الخُبْزَ فَاكِهَةٌ حتَّى نَزَلْتُ علَى أَرْضِ بْنِ مَنْصُورِ
يَبِسَ اليَدَيْنِ فَمَا يَسْطِيعُ بَسْطَهُمَا كَأَنَّ كَفَّـــيْهِ شُـــدَّا بِالمَسَـــامِيرِ.

وتظهر الكناية في قوله : "يبس اليدين فما يستطيع بسطهما" وهي كناية عن صفة وهي شدة بخل هذا الإنسان وشحه.

وأخيرا بقيت ثلاث خصائص فنية ميزت بعض أشعار هذا البحث، وأرى أنها قد أضفت شيئا من الحيوية والجمال اللذين زادا صور تلك الأشعار جودة. وعن هذه الخصائص وجدت "**أبا الشمقمق**" قـد أكثـر مـن تجسيـدهـا فـي بعـض مقطوعـاتـه واخترت منها هذه التي يقول فيها[2]:

وَلَقَدْ قُلتُ حِـينَ أَقْـفَرَ بَيْـتِي مِنْ جِـرَابِ الدَّقِيـقِ وَالفَخَّـارَه
وَلَقَـدْ كَـانَ أَهلاً غَـيرَ قَـفْرٍ مُخْصِـبًا خَيرُهُ كَثِيـرُ العِمَارَه
فَأَرَى الفَـأرَ قَدْ تَجَنَّـبْنَ بَيْتِـي عَـائِدَاتٍ مِنهُ بِـدارِ الإِمَـارَه
وَدَعَـا بِالرَّحِيـلِ ذُبَّـانُ بَيْتِـي بَيْنَ مَقْصُـوصَةٍ إِلَى طَـيَّارَه
وَأَقَـام َالسِنَّـوْرُ فِي البَيتِ حَوْلاً مَا يَرَى فِي جَوانِبِ البَيْتِ فَـارَه
يَنْغَضُ الرَّأْسَ مِنهُ مِن شِدَّةِ الجُو عِ وَعَـيشٍ فِيـهِ أَذًى وَمَـرَارَه
وَقُلتُ لَمَّـا رَأَيْتُهُ نَـاكِسَ الـرَّأْ سِ كَئِيبًا فِي الجَوفِ مِنْهُ حَرَارَه
وَيْكَ صَبْرًا فَـأَنْتَ من خَـيْرِ سِنَّـ ـوْرٍ رَأَتْهُ عَيْنَـايَ قَطُّ بِحَـارَه
قَالَ: لاَ صَبْرَ لِي، وَكَيْفَ مُقَامِـي بِبُيُوتٍ قَـفْرٍ كَجَوفِ الحِمَـارَه.

1- التشخيـــص:

كما نعلم أن التشخيص هو إلباس الجماد بعض الصفات الإنسانية، ونقل غير العاقل إلى مصاف العقلاء؛ أي " بواسطة الاستعارة

(1)- أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص45.

(2)- المصدر السابق، ص53،54،55.

يمكن تجسيد المعنوي المجرد كما يمكن إلباس المادي الملموس الطابع الروحي."[1] إذا التشخيص هو بعث الحياة في الأشياء الجامدة. ومن هنا نرى أن الشاعر ينطق الطير أو أي حيوان آخر وينسب للحجر التفكير والكلام...الخ.

وهذا هو شاعرنا الذي أنطق السنور، فنقله بذلك إلى مصاف العقلاء وجعله الطرف الثاني في الحوار.

2- التصوير القصصي:

إن الشاعر قد صور لنا بيته وما جرى فيه من أحداث تصويرا دقيقا بأسلوب قصصي يمتاز بسرد للأحداث التي كان كل واحد منها يجلب الآخر بالضرورة.

3- أسلوب الحكاية:

فقد استخدم هذا الأسلوب في وصف بيته الخالي على عروشه. و لعل "**أبا الشمقمق**" من أوائل الذين أدخلوا إلى الأدب العربي صورة القط الذي هجر بيت صاحبه الفقير؛ وهذا الشاعر تفاعل مع التجربة و استخدم الصور ذات العلامة المعبرة عن تجربة ذاتية ارتبطت بواقع عايشه وعاناه وعن آخرين تخيلهم على طريقة التجريد في أسلوب فكاهي ساخر. واتخذ من الحكاية وسيلة لعرض تجربته في أسلوب سردي جذاب يشد القارئ ويثير انتباهه بالانتقال بين شتى الضمائر؛ضمير المتكلم في " قلت" إلى ضمير الغائب في "أخرجوه" إلى المخاطب في "اصبر". و قد رسم الشاعر مشهدا بكل تقنياته من شخوص وأحداث وسرد و وصف وعقدة ونهاية في صورة بسيطة يتم فيها التركيز على السنور البطل:[1]

الشخوص: تمثلت في : الشاعر، السّنور، الجرذان.....

الأحداث: دارت حول الترقب و الأمل و الفشل.

---

(1)- فتحية كحلوش، بلاغة المكان(قراءة في مكانية النص)، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ط1، 2008م، ص249.

([1])- ينظر، أحمد السيد أبو المجد، شعراء الظل في العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص139.

البناء: وفيه حبكة القصة التي تمثلت في صبر النسور.

النهاية: وهي إخفاق السّنور و فراره .

وقد رسم الشاعر من خلال هذا المشهد صورة كلية تمثلت في شاعر أجحره البرد، وبيت لا يحتوي سوى النخالة والنوى وسّنور يترقب فريسته، وحديث بينه وبين الشاعر فقد بدا الشاعر من خلال هذه المقطوعة مصورا دقيق الملاحظة يجيد القص ونقل المشاهد بكل تفصيلاتها؛ إذ جعل القارئ يتصور نفسه أمام مشهد مسرحي بكل ديكوراته وبكل شخصياته الرئيسية منها والثانوية.

كما يلاحظ نوع من التجزيئية في الصور؛ أي أنها جاءت عبارة عن أجزاء تلاحمت في الأخير واتحدت لتعطي لنا صورة مركبة وهي صورة هذا البيت وما يجري فيه من أحداث وحركة، ومما زاد هذه الصورة إيضاحا واكتمالا هو ذلك الوصف الدقيق لكل صغيرة وكبيرة مثل قوله[1]:

وَ دَعَا لِلْرَّحِيلِ ذِبَّان بَيْتِي بينَ مَقْصُوصَةٍ إِلَى طيَّارَه.

لم يبق في الأخير إلا أن أقول بأن الصورة الشعرية أو الشكل الفني عند " **أبي الشمقمق**" – أو شعراء الطبقة العامة – كان دون مستوى الشكل الفني عند شعراء النخبة آنذاك، وذلك لافتقار أشعاره لعدة وسائل فنية من جهة، ولبساطة استعمال بعض الوسائل من جهة أخرى، وكذا لعدم استغلال طاقات اللغة وإمكاناتها، مما كان يؤدي بتلك الأشعار إلى عدم تأدية وظيفتها الشعرية لولا صدق العاطفة ولولا تلك الروح الإنسانية التي أضفاها هذا الشاعر على شعره .

لابد بعد هذا العرض الموجز أن أقدم حكما فيما يتعلق بنسبة الصور البيانية في شعر "**أبي الشمقمق** " فأستطيع القول: أن هاته الأشعار تزخر بصور بيانية إذ كانت موجودة بكثرة –خاصة التشبيه–، بالإضافة أنها جاءت سهلة السبك قريبة إلى الأذهان، فلم تكن صور توهيمية ضبابية

(1)– أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص54.

بعيدة عن الواقع ناشزة عن المعقول؛ وإنما كانت من صميم الواقع والحياة اليومية. كما رأيت أن حياة الشاعر البسيطة المتواضعة كانت مصدرا لكثير من تشبيهاته التي اعتمد فيها على ألفاظ مفردة ذات دلالة حسية ملموسة كالقفل، العلقم، العسل ...الخ .

5- التنـــاص:

هو خلق عمل أدبي باسترجاع بعض أشباهه، ومن نماذج التناص عند "**أبي الشمقمق**" قوله[1]:

شَرَابُكَ فِي السَّرَابِ إِذَا عَطِشْنَا وَخُبْزُكَ عِنْدَ مُنْقَطَعِ التُّرَابِ.

الشاعر اقتبس معنى استحالة الأمل وعظم الحسرة من قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ – سورة النور الآية 39 –

فحالة ضياع الأمل والحسرة كحال من ظن السراب ماء فإذا وصل إليه لم يجد شيئا؛ وقد تلاقى النص القرآني مع هذا النص الشعري، ففي الصياغة القرآنية نقرأ جري الظمآن وراء السراب وهي أعمال الكافرين وفي النص نقرأ جرى الشاعر وراء عطاء المهجو، ففي الصورة القرآنية حالة الظمأ الشديد والتحسر وذلك بسبب انقطاع أعمال الخير في أعمال الكافرين، وتظهر في الصورة الشعرية أيضا حالة الظمأ بسبب بخل الأغنياء وانقطاع الأمل في عطائهم.

6- السخريـــــة:

لا أظن أن أحدا يخالفني إذا قلت أن أشعار "**أبي الشمقمق**" تطغى عليها مسحة ساخرة واضحة، أما إذا انتقلت للتنقيب عن معنى لفظة "سخر" فإني أجدها في عديد من آيات الذكر الحكيم كقوله تعالى في سورة البقرة الآية 21 –: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

(1)– المصدر السابق، ص29.

وقوله أيضا لنبيه "**محمد صلى الله عليه و سلم**" عندما بين له معاناة الرسل السابقين الذين تعرضوا للاستخفاف قوله في -سورة الأنعام الآية 10- ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

أما معناها في اللغة: " فلان سخر و سخرة: أي يضحك منه الناس ويضحك منهم، سخر منه وبه سخرة وسخرية أي هزئ به والسخرة الضحكة والاسم السخرية "[1]؛ وهي تفيد معنى الاستهزاء والإضحاك.

أما "**عبد الحميد محمد جيدة**" فيذهب إلى أنه : " ليس من الضروري قط أن تقترن السخرية بلؤم النفس وخبثها فالسخرية ملكة قائمة بنفسها وهي بعيدة عن ملكة الفكاهة التي تكون عند بعض الأشخاص دون أن تقترن دائما بالسخرية، والسخرية تعبير حي عن المرارة والإحساس بالقهر أو الظلم أو بأي عاطفة لا تجعل الإنسان راضيا سعيدا."[2]

والأسلوب الساخر هو من أبرز الخصائص التي ميزت الأدب العربي، ولم تنقطع عنه في أي مرحلة من مراحله؛ حيث كان دائما حاضرا في الشعر والنثر على السواء فكما هو معلوم أن "**الجاحظ**" هو رائد هذا الأسلوب بدون منازع في الأدب العربي كله، وما كتاباته إلا خير شاهد على ما أقول.

والسخرية كما نعلم هي طريقة في الكلام يعبر بها عن عكس ما يقصده، وسخر فلان من فلان هزأ منه واستخف به وضحك عليه، والغرض من السخرية يكون غالبا انتقاديا أو توبيخيا أو هجائيا .

ولقد برزت السخرية في شعر "**أبي الشمقمق**" بشكل كبير وخاصة في مجال النقد والهجاء، وقد سلك فيها سبيل التلميح وسبيل التصريح .

1- الجانب الأول : فهو يدسها دسا بارعا لا يكاد يفطن له إلا بعد تمعن وتدقيق .

([1])- ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج2، مادة سخر، ص113،114.

([2])- عبد الحميد محمد جيدة، الهجاء عند ابن الرومي، منشورات المكتب العالمي، بيروت، (دط)، (دت)، ص326.

2- **الجانب الثاني** : لا يكتفي بالتعريض فقط، بل يميل إلى إظهار الاستهزاء والتهكم.

ولابد أنه في الأسلوب الساخر هذا الوسيلة الأنجع لرفض الواقع والتعبير عن عدم رضاه بالنظام الحاكم والسياسة السائدة آنذاك، ونقد بعض العادات السيئة التي شاع انتشارها في ذلك العصر – خاصة البخل– والتعريض بكل أولئك الذين لا يرون في هذه الدنيا إلا أنفسهم، بينما العامة من الناس بالنسبة لهم عبارة عن ذبان أو خنافس يجب سحقها من الوجود .

وسخرية "**أبي الشمقمق**" هي سخرية انتقاديه هجائية حيث يقول[1] :

الحَمْـــدُ للهِ شُكْـــرًا أَمْشِـــي وَيَرْكَبُ غَيْرِي.

فللوهلة الأولى يخيل لقارئ هذا أنه راض بهذا الوضع، ولكن سرعان ما يكتشف أنه يسخر ويعبر عن رفضه لما هو فيه ولما يراه، إذ أصبح يعيش في زمن يفضل فيه إنسان على إنسان آخر، بل ألمح أنه يتقطع ألما لهذا الوضع المزري.

وكذا قوله[2]:

وَلاَ خِفْتُ الإِبَـــاقَ عَلَى عَبْيدِي وَلاَ خِفْتُ الهَلاَكَ عَلَى دَوَابِـــي

وَلاَ حَاسَبْتُ يَوْمًا قَهْرَمَـــانِي مُحَـــاسَبَةً فَأَغْلَظُ فِـــي حِسَابِي .

فهنا ألاحظ سخرية انتقاديه تعريضية، يعرض فيها الشاعر بأصحاب الأملاك الذين لا يعرفون راحة بال، وينتقد أفعالهم البشعة مع عبيدهم وهذا بشكل واضح وصريح.

وقد وصلت هذه السخرية إلى حد الهجاء حيث أجد قوله:[1]

فَمَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الخُبْزَ فَاكِهَةٌ حتَّى نَزَلْتُ علَى أَرْضِ بْنِ مَنْصُورِ

يَبِسَ اليَدَيْنِ فَمَا يَسْطِيعُ بَسْطَهُمَـــا كَأَنَّ كَفَّـــيْهِ شُـــدَّا بِالمَسَـــامِيرِ.

فالشاعر هنا ينتقد هذا البخيل وأمثاله ويهجوه بأبشع هجاء.

---

(1)– أبو الشمقمق، الديوان، مصدر سابق، ص46.

(2)– المصدر نفسه، ص28.

(1)– المصدر السابق، ص45.

دلالات السخرية:

– أول دلالة أستشفها من خلال النماذج التي أوردتها أن هذا الشاعر كانت حياته بائسة فانعكست آلامه النفسية في هاته الأشعار الساخرة؛ لأن سخرية انتقاديه مثل هذه لن تكون إلا نتيجة ضيق وألم عميق.

– كما يظهر أيضا العصر العباسي في لوحة ذات وجهين؛ وجه براق تمثله الحياة البدخة و وجه شاحب تمثله حياة الحرمان التعيسة.

– تدلنا كذلك على صور كثيرة لبعض المظاهر السيئة التي احتضنها ذلك العصر وخاصة ظاهرة البخل التي بلغت أوجها آنذاك.

– كما تبين مدى ما وصلت إليه الطبقة الفقيرة من عوز وفاقه فوصل بها الأمر إلى حد التسول.

– تظهر تجبر بعض الحكماء و بعض أصحاب الجاه ومدى ما يسبّبوه للطبقة العامة من شقاء وعذاب.

– للسخرية دلالة قوية على ضعف الحكم في العصر العباسي وذلك ربما راجع لانشغال الدولة بالحروب وإهمال أمور الرعية.

– تعكس السخرية وعي هؤلاء الشعراء لواقعهم الأليم المتدهور والتنديد به.

ولابد أن كل هاته السخرية كانت كمحاولة لتغيير ذلك الوضع والتقليل من تلك الظواهر أما أهم خاصية لها أنها سخرية موضوعية اهتمت بمشاكل تمس الأغلبية الشعبية وليست سخرية ذاتية كما أنها هادفة مجردة من العنف ولكنها لادغة، وقد أسهمت في إخفاء بعض الجمال على أشعار "**أبي الشمقمق**" لما تميزت به من براعة.

خلاصة:

كما للطبقة الخاصة شعراؤها الذين تفننوا في وصف حياتها ووصف مظاهر الترف التي تعيشها، فللطبقة العامة أيضا شعراؤها الذين لم يتركوا جانبا من تلك الحياة المرّة إلا وصفوه، وأذكر في هذا الصدد الشاعر "**عاذر بن شاكر**" الذي خصص شعره لوصف الخبز. ورغم ما

يتميز به شعر "**أبي الشمقمق**" من؛ خروج عن البناء الذي ازدهر في العصر العباسي،لغة مميزة ومعبرة، تقصير في التصوير البياني والزخرفة، كثرة الهجاء والألفاظ المعبرة عن الفقر والحرمان، احتوائه على السخرية اللاذعة.

إلا أن كل هذه المميزات جاءت بشعر رائع ومعبر عن حالته وحالة الطبقة العامة التي تعيش في حرمان وضنك كبيرين.

خاتمة

خـــــاتمـــة:

أخيرا لا يسعني إلا أن أقول إنّ رحلتي مع هذا الموضوع ومع هذا الشاعر كانت رحلة مفعمة بالحياة بكل ما فيها من مرارة وألم، وما يمكن الركون إليه بعد هذه الرحلة العلمية مع شعر "**أبي الشمقمق** " ومع كل تلك المظاهر الدالة على حرمانه وعوزه ، هو الإقرار بجملة النتائج التي توصلت إليها والتي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

1- المجتمع العباسي يشتمل على وجهين لعملة واحدة، حيث كان يحتوي على عدة متناقضات، إذ كان الشعب موزعا بين طبقتين متميزتين : طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء، أما أبناء الطبقة الأولى فكانوا يَحيَون في نعيم ورفاهية لأنهم كانوا يمثلون الهيئة الحاكمة المستبدة التي استأثرت لنفسها بطيّبات الأرض، أما الطبقة الثانية فكان ت تعيش في بؤس وشقاء لأنه ا كانت مغلوبة على أمره ا مُستبعدة لا تملك من أمره ا شيئا .

2- الشعر في العصر العباسي كان له اتجاه ان: اتجاه يمثله شعراء السلطة والبلاطات منهم " **المتنبي** " وكان شعره يتميز بالجودة والرصانة، وشعراء الطبقة العامة الشعبية وكان شعرهم يمتاز بالبساطة والسهولة لأنه موجه لعامة الناس ومن هؤلاء الشعراء "**عاذر بن شاكر** "، "**جحظة البرمكي**" ، و"**أبي فرعون الساسي** ".

3- إذا قلنا الحرمان نستطيع القول أيضا الفقر، الشقاء، العوز، المسغبة، الفاقة، البؤ س، وكلها صفات لإنسان لا يملك من هذه الدنيا شيئا، والحرمان مصطلح اجتماعي اقتصادي إلا أنّ الإسلام ينظر إليه نظرة أخرى ويفضله على الغنى والثراء الفاحش ، كما يدعو أيضا إلى التكافل الاجتماعي.

4- كان للاخ تلال الاقتصادي والتناقض الاجتماعي وكثرة الفتن والاضطرابات أثر كبير في نشأة شعر الحرمان في العصر العباسي، هذا الوضع أدى بعض الفقراء إلى التمرد على أوضاعهم التعسة والاجتهاد

للفوز ببلغ العيش فاتخذ بعضهم التطفل وسيلة لكسب أقواتهم ومقاسمة الأغنياء في ملذات الحياة مع الصبر على الأذى واحتمال الإهانة، وبعضهم احترفوا الغزو والإغارة على الأغنياء ونوّعوا في طرق احتيالهم وهذا لإقامة أنفسهم والمحافظة على حياتهم.

5- الشاعر "**أبو الشمقمق**" اتّهم بالسخف والركة والعجز إلا أني وجدت غير ذلك؛ وجدت تجارب إنسانية بكل ما تحمله كلمة إنسانية من معنى، كانت تجاربه تعجز بكل صدق الواقع الاجتماعي الأليم والمزري الذي كانت تتخبط في ظلماته الأغلبية الشعبية الساحقة من المجتمع العباسي .

6- كان شعره بالنسبة لي وثيقة تاريخية صححت وبالأحرى وَضَحت أمام عينيّ كثير ا من الأمور التي كنت ألمحها لمحا، فخرجت من هذا البحث بصورة أكثر وُضوحا وتجليا في العصر العباسي .

7- بساطة شعر"**أبي الشمقمق** "ناتجة عن بساطة حياته وهو يمتاز بكثرة الهجاء والإلحاح على فقره وحرمانه، فلم أجد له شعرا في الرثاء أو الغزل .

8- عكست سخريته – في بعض صورها – روحا متشائمة تدعو إلى السلبية، غير أن المتأمل في حقيقته يعذره، لأنه لم يستطع تحمل عبء الانحرافات الاجتماعية في العصر العباسي، وتجبر الطغاة وغفلة المواطنين، فجاءت صوره متشائمة حين لم ير من الدنيا إلا وجهها المظلم.

9- برز شعر "**أبي الشمقمق**" كوسيلة تعبيرية نقدية للأوضاع الفاسدة في المجتمع العباسي، وشعره يهدف إلى لفت انتباه المسؤولين إلى حياة الطبقة الضعيفة.

ولكن تبقى أمور أخرى نجهلها وشعراء لم يُنفض عنهم الغبار بعد وأتمنى ألاّ تطول عزلة هؤلاء الشعراء، وأن يُعاد النظر في شعرهم، لأن عواطف ومشاعر إنسانية مثل تلك التي احتضنت هذا الشعر لا تستحق أبدا أن يُضرب بها عرض الحائط.

وفي الأخير لا يسعُني إلا أن أجزم بأنّ هذه النتائج ماهي إلاّ عتبات لدراسات مستقبلية ، قد تكون أكثر عُمقا وتأصيلا مما قُدّم، لأن عملي المتواضع هذا أحتسبه لبنة قد تساعد في تشييد صرح دراس ات مُعمقة شاملة وهنا أستحضر قول الأديب "**مالك حداد** " الذي ذكر فيه : " **أنا نقطة نهاية في رواية تبدأ** ". فلكل بداية نهاية، ومع كل نهاية تكون البداية، وأفضل البدايات طموح وخير النهايات تحقيق ذلك الطموح، فآمل أن أحقق ذلك ؟.

والله من وراء القصد ووحده
أ سأله التوفيق والسداد.

ملخص الدراسة

الملخص:

1- الملخص بالغة العربية:

تناولت في هذه الدراسة "**شعر الحرمان في العصر العباسي** " واتخذت "**أب ا الشمقمق** " نموذج ا لذلك، واشتملت على مقدمة ، ومدخل ، وثلاثة فصول؛ وقد تناولت في المدخل الفرق بين حياة الطبقة المترفة وحياة الطبقة العامة في العصر العباسي. أما الفصل الأول: تطرقت إلى ماهية الحرمان وأسبابه وخلصت في آخر هذا الفصل إلى ترجمة لحياة "**أبي الشمقمق**"، أما الفصل الثاني : فقد تناولت فيه تجليات ومظاهر الحرمان في شعر "**أبي الشمقمق** " لكون تلك المظاهر تمثل حياة الأغلبية الشعبية . وجاء الفصل الثالث عبارة عن دراسة فنية لشعر "**أبي الشمقمق** "؛ حيث درست البناء العام والمعجم الشعري والتركيب اللغوي وأمور ا أخرى، وأنهيت البحث بخاتمة أجملت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

هدف الدراسة :

أهم هدف من أهداف هذه الدراسة هو توسيع الأفق ؛ وذلك بفتح جانب من جوانب الحياة الخفية في العصر العباسي ؛ لأن هذا الجانب قد أهملت الدراسة فيه فلم يوفر حظه من البح ث، فاخترت إحدى نوافذه، المسماة بـــ: " **شعر الحرمان** "، واخترت شاعرا ظلّ فقيرا محروما في حياته ومغمورا بعد مماته، فحاولت نفض الغبار عنه والتوسع في معرفة خباياه قدر الإمكان و ليكون لي الشرف لأنقل لكل مهتم ما وجدت فيها . وفي الأخير لا يسعني إلا نفي ذلك الوجه البراق المنسوب إلى العصر العباسي. ومجمل القول أن هذه الدراسة ك شفت عن الدور الكبير الذي لعبه الشعراء الفقراء في تلك الحقبة بالتعبير عن الحياة التي يعيشونها من الفقر والحرمان الذي أثقل كاهلهم؛ من خلال أشعارهم التي يُلحون فيها على تلك الظاهرة، واعتمدت تلك الأشعار على السخرية الانتقادية كما

اتسمت بقوة ألفاظها وتراكيبه ا وبكثرة الهجاء اللاذع ، وقد وُجهت معظم القصائد إلى عامة الناس؛ لذا تميزت بالتركيز والإيجاز والبعد عن التكلف كما حملت دلالات اجتماعية تنم عن الصلة الوثيقة بين الشاعر وبيئته .

2- الملخص باللغة الأجنبية:

Résumé :

J'ai décidé de faire une étude sur le thème de la poésie de privation (la prohibition) à l'époque des Abassites et j'ai choisi le poète **« Abou Echamakmak »** comme modèle .Cette étude se compose d'une introduction dans laquelle j'ai montré la différence de niveau de vie entre la classe riche et la classe pauvre dans la société Abassite en trois chapitres.

Dans le premier chapitre, j'ai évoqué la privation, ses causes et ses conséquences.

Dans le deuxième chapitre, j'ai parlé des aspects de la misère dans les poèmes de l'auteur qui touche la majorité de la population de la société Abassite.

Le troisième chapitre est une étude artistique de la poésie de **« Abou chamakmak ».**

L'objectif de l'étude :

Le principal objectif de cette étude consiste à l'élargissement de l'horizon par l'ouverture d'une page sur un des aspects de la vie de l'époque Abassite car cette partie, là, a été négligée. J'ai choisi cette partie intitulée « la poésie de privation» et un des poètes qui a vécu dans la pauvreté.

j'ai essayé de mieux connaitre et découvrir la face cachée de sa vie et de ses œuvres .

En définitive, l'objectif de cette étude et qu'elle ait mis à jour le grand rôle que les auteurs ont joué dans l'épanouissement de

leur société et le changement dans leur vie malgré la pauvreté qui se traduisait dans leur écrits caractérisés par l’humour et la critique.